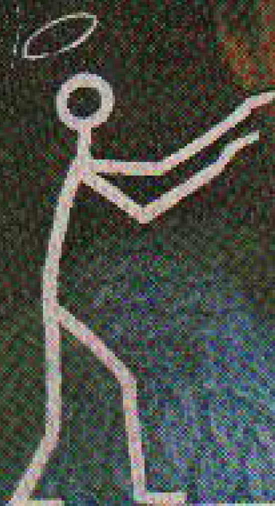
القديس..

والمرأة



تقدمة الكاتب الإنجليزي ليسلي تشارتريس

ترجمة : صادق راشد

القديس

القديس والمرأة

الكاتب الانجليزي : ليسلي تشارتريس
ترجمة : صادق راشد

الفصــــل الاول

كانت السيارة الكبيرة تشق الليل المظلم الساكن كأنها وحش كاسر انطلق من عقاله ، وعيناها الملتهبتان ترسلان وميضا يبدد الظلمات ، وهى تنساب متعرجة ملتوية فى طريق تقوم على جانبيه الاشجار الوارفة الظلال .. وعلى حين فجأة أطلقت العينان وابطات السيارة ثم وقفت دفعة واحدة .

وكان هناك رجل يرقب السيارة وهى تقترب .

كان جالسا تحت احدى الاشجار وسيجارته بين شفتيه وهو يخفى طرفها المتوهج براحة يده حتى لا ينم عن وجوده .. ولقد وقفت السيارة على قيد خطوات منه كما كان يتوقع ، فانحنى ودفن سيجارته بين الحشائش وهرسها بقدمه ، ثم نهض واقفا وخرج الى الطريق دون أن يصدر عنه صوت .. والواقع ان الصوت الوحيد الذى كان يسمع فى تلك اللحظة انما هو حفيف الاغصان ودوى محرك السيارة .

واذ ذاك ومض عود من الكبريت داخل السيارة فكشف ما غبها فى وضوح وجلاء .

مقاعد السيارة الوثيرة الفخمة .. وباقة الزهور الجميلة المنسقة فى اناقة فى الاناء المخصص لها .. ومقابض الابواب والنوافذ الفضية المتألقة ــ ولكنها كلها أشياء كان يمكن تصورها من قبل .. وكذلك ربما امكن ان نتصور ذلك الرجل ذا الانف المهشم الذى يرتدى ثياب السائق .. أو ربما ذلك الرجل الوسيم الطلعة الذى يجلس وحده فى المقعد الخلفى وقبعته الحريرية الى جانبه ومعطفه يكشف عن قميصه الابيض المنشى .. او ربما تلك الفتاة ؟؟

أو ربما لم يكن ممكنا أن تتصور تلك الفتاة ٠٠ !

كانت ممسكة بالعود لتشعل سيجارتها فتركز الضوء على وجهها ولفت اليها النظر بنوع خاص ٠٠ كانت تبدو للوهلة الاولى مثلما يتوقع المرء أن يلقاها ٠٠ للوهلة الاولى تبدو من الطراز الذى يليق بمثل هذه السيارة الفخمة الفاخرة ٠٠ ولم يكن فى جلوسها الى عجلة القيادة ما يثير الاستغراب للوهلة الاولى ٠٠

ولكن شيئا فيها كان يوحى بأن الرأى الذى يبدو للوهلة الاولى انما يستند الى الخطأ ٠٠ انها طويلة القامة بلا شك ٠٠ بهذا حدث نفسه الرجل الذى كان يرقبها متسترا بالظلام ٠٠ ولكن قوامها الاهيف كان يكسبها رشاقة الانوثة ٠٠ وجميلة بما لا يدع مجالا للجدل ٠٠ وجمالها غير المجلوب قد تجرد من طابع الابتذال والشيوع ٠٠ كان وجهها على طبيعته لم تغير من معالمه فنون التجمل الحديث ٠٠ وكذلك كان شعرها بلونه الذهبى غير المفتعل ٠٠ أما تألق عينيها فلا يمكن أن يكون خدعة من خدعات معاهد التجميل ٠

وناجى الرجل الذى فى الظلام نفسه قائلا :

ــ اذن فانت جيل تريلونى ٠٠ !

على أنه لم يكد يناجى نفسه بذلك حتى انطفأ عود الثقاب ٠٠ ولكن الصورة التى رآها انطبعت فى ذهنه بكل رسومها وخصائصها ، وكانت صورة متدفقة بالحياة ٠٠ لقد سبق أن رأى لها مجموعة من الصور (وبعضها الان فى جيبه) ولكنها كلها كانت صورا جامدة لا حس فيها ولا معنى ٠٠ صورا شاحبة كأنما تريك تمثالا ميتا ٠٠ وأخذ يسائل نفسه وهو ينظر اليها عن الرجل الذى تواتيه الجرأة على أن يقبض على فتاة لها مثل هذا الوجه !

وارتفع من السيارة صوت الرجل الذى يرتدى ثياب

السهرة وهو يقول :

ــ انك امرأة عجيبة يا جيل ٠٠ فى كل مرة أراك فيها ٠٠

فنخته بنظرة شاملة وقالت تقاطعه فى هدوء :

ــ فى كل مرة ترانى فيها تزداد حماقة وسخافة ٠٠ هذا أوان العمل لا الهذر والغزل ٠

فقال الرجل فى صوت ينم عن الامتعاض :

ــ ولم هذا التذمر يا جيل ٠٠ ؟ الا تجمعنا كلنا سفينة واحدة ؟

ــ ولكننى انا التى اتولى القيادة يا ولد ٠

وتوهج طرف سيجارتها اذ جذبت منه نفسا طويلا ، ثم ما لبث ان خبا ٠

وتكلم ذو الانف المهشم قائلا :

ــ ما دام القديس غير موجود فاننا ٠

ــ القديس ٠٠ ! القديس ٠٠ !

ونطقت الفتاة بهذا الاسم فى نبرة حادة اشبه بفرقعة السوط ٠ ثم استطردت قائلة :

ــ ما هذا الهذر « يا احمر » ٠٠ ؟ أتريد أن تخيفنى ٠٠ ؟ القديس شوكة فى حلقك ! ٠

فقال الرجل الملقب بالاحمر مدافعا عن نفسه :

ــ أن القديس يجب أن يكون شوكة فى حلق كل انسان ٠٠ !

ولو أن الضوء كان كافيا لشوهد وقد احمر وجهه ٠ فما يخاطبه احد فى حدة الا تخضب وجهه احمرارا ، حتى لقد نسى الناس انه يدعى بود فلقبوه « بالاحمر » ٠

وتجاسر الرجل الذى يرتدى ثياب السهرة فقال :

ــ انهم يروون عنه ٠٠

ولكنه لم يزد على ذلك حرفا اذ قاطعته الفتاة ساخرة

يقولها :

— الا يرون اشياء لا أصل لها عن كل بطل خرافى .؟ الم تسمع ما يروون عن آل كابونى . ؟ وعن شرلوك هولمز .؟ وعن السفاح مارتيه ومع ذلك فمن هو سيمون تمبلار هذا .

فقال بود الاحمر فى لهجته الوجلة المترددة :

— أرأيت رجلا يقذف الى ارتفاع ست اقدام رجلا آخر اثقل منه بخمسين رطلا بنفس السهولة التى يقذف بها غرارة ملأى بالريش .؟ ان القديس يفعل هذا كنوع من التسلية قبل أن يندمج فى المعركة الحقيقية .. أرأيت رجلا يضع احدى بطاقات الزيارة قائمة على اطرافها ثم يقذف عليها مدية فتشطرها نصفين وهو على مسافة خمس عشرة خطوة منها .. ؟ ان القديس يفعل هذا وهو مغمض العينين .. أرأيت رجلا يواجه وحده ستة رجال مدججين بالسلاح وهو مجرد عنه ، فيصرعهم جميعا وينقلون الى المستشفى وهو واقف يبتسم ويضحك .. ؟ ان القديس ..

فسألته الفتاة مقاطعة فى هدوء :

— أخائف انت منه يا أحمر . ؟

فنفخ بود من منخريه وقال :

— لقد اشتغلت زمنا طويلا ملاكما انازل ابطال الملاكمة المشهورين فاهزم متعمدا لقاء أجر يدفع الى . وانى اعرف ان القديس سيتغلب على ، ولكنى أعرف ايضا انه لن يفقدنى الاجر الذى اعتدت ان اتناوله .

ولكن بود لم يشأ أن يقول انه بعد ان هجر الملاكمة رحل الى شيكاغو ، وانضم الى تلك العصابات الرهيبة التى كانت تسيطر على المدينة بالحديد والنار .. والتى لم تكن تعرف حكما الا المدافع الرشاشة .

واسترسل بود يقول وقد اشتد احمرار وجهه :

— ان من يعرفنى لايمكن ان يقول عنى انى جبان اخاف المعارك والملاكمات ، ولكنى فى الوقت ذاته لا أحاول أن أخدع نفسى اذ لست اجهل متى تكتب على الهزيمة .

فقال الذى يرتدى ثياب السهرة :

— ان نصيحتى اليك يا جيل ، هى ان تهاجمى القديس قبل أن يهاجمك .. خذيه قبل أن يأخذك .. والامر سهل هين .

واهتز الرجل الذى فى الظلام وهو يغالب الضحكة التى أرادت أن تنطلق من فمه .

كانت الليلة دافئة ونوافذ السيارة مفتوحة . وكل كلمة تقال تبلغ اذنيه . وكان واقفا على مقربة من السيارة فلو انه تقدم خطوة واحدة ومد يده للمس جدارها .

ولكنه .. تقدم خطوتين .

وقالت الفتاة فى لهجة تنطوى على الاحتقار كأنما تخاطب طفلا عنيدا :

— اذا لذ لك أن تناله فلن امنعك .

فقال استيفن ويلد فى غير خجل :

— نعم .. يلذ لى ان أناله .. انى أعرف ما يروون عن القديس .. انهم يقولون انه ..

ولكن الكلمات اختنقت فى حلقه فى حشرجة جعلت صاحبيه ينظران اليه سريعا ، وان كان الظلام لم يمكنهما من رؤية وجهه . غير أن الفتاة رأت على الضوء ما رآه ويلد ؛ ذلك الشبح المعتم الاسود الذى يسد فجوة النافذة .

وشعروا بشىء يتحرك داخل السيارة .. وكان هذا الشىء غريبا عنهم .. كان ذراعا ادخلت من النافذة بسرعة فسمعوا لحركتها حفيفا .. وتلمست اليد الزر

فانبعث الضوء من المصباح المثبت فى سقف السيارة وغمر المكان ٠

وسمعوا صوتا يتشدق بالكلام قائلا :

ـ ماذا يقولون عن القديس يا ويلد ٠٠ ؟

وكانت فى الصوت نبرة غريبة الوقع ٠٠ نبرة تدل على قحة وجراءة وسفاهة لا عهد لهم بها ٠ ولما ألفت عيونهم الضوء رأوا أن صاحب الصوت قد أدخل رأسه ومنكبيه فى السيارة من النافذة ٠

وكان لبود الاحمر وجه أشد احمرارا مما يعرف عن نفسه ٠ اما ويلد فكان فى شحوب لونه أشبه بالأموات !

والتهبت وجنتا جيل تريكوفى غضبا ٠ ولكنها كانت لشدة حساسيتها أكثر تقديرا من صاحبيها لهذه النبرة الهازئة التى حفل بها ذلك الصوت الوقح المتهكم الجرىء الذى ينطوى على التحدى والرغبة فى النضال ٠

وللمرة الثانية تشدق الصوت فى لطف وعذوبة قائلا :

ـ تكلم ! ٠

وتكلم بود الاحمر فى صوت مختنق قائلا :

ـ القديس ٠٠ !

اما ويلد فاخذ نفسا طويلا مصحوبا بشهقة عميقة ٠

على حين مطت الفتاة شفتيها ولم تتكلم ٠

وتشدق الرجل الذى فى النافذة قائلا :

ـ كنت تتكلمين عنى ٠

ولقد وجه هذه الجملة الى الفتاة دون صاحبيها بعد ان أخذهما بنظرة شاملة عاجلة ٠

وخانتها الكلمات مدى لحظة خاطفة فتميزت غضبا على نفسها ٠

ثم قالت فى هدوء :

ـ مستر تمبلار فيما أظن ؟

فانحنى رأسه بالقدر الذى تسمح به وقفته فى النافذة وقال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة :

ـ تماما ٠٠ انك جيل تريلونى أليس كذلك ؟

ـ مس تريلونى ٠

ـ طبعا مس تريلونى ٠٠ الآن فقط ٠٠ اما القاضى فلن يعرفك الا باسم جيل ليس الا ٠٠ واما فى السجن فسيمنحونك رقما بدلا من اسمك ٠

ولعل من العجيب ان يتأجج الحقد بمثل هذه السرعة ٠٠ قبل أن يظهر القديس من النافذة بلحظة واحدة ، لم يكن عندها الا مجرد اسم لا أهمية له ولا خطر حتى لم تكن لتحفل بان توليه شيئا من التفكير ٠ أما الآن فكان كل عرق فى صدرها ٠٠ وكل جارحة فى بدنها ٠٠ تنبض بالكراهية له والحقد عليه ٠

كانت تنظر اليه بعينين يشع منهما لهيب بغض يفترس صدرها ٠٠ كانت قبل ذلك بلحظات تضيق ذرعا بمخاوف استيفن وبود ٠ وتقاطعهما فى استخفاف قائلة : « اذا كان يلذ لك ان تناله فلن أمنعك ! ٠ كأنما الامر لا يعنيها ٠ اما الآن ٠٠

كان هناك ثلاثة رجال تحقد عليهم أشد الحقد ٠٠ حتى ليتمثل حقدها فى كل حركة تأتيها وفى كل نسمة تخرج من بين شفتيها ٠ وما كانت تعتقد ان فى صدرها مكانا لبغض جديد ، ولكن هذا البغض الذى اكتظ به قلبها فجأة عدا على ما سواه وطمس كل بغض عداه ٠

كانت تحدجه بنظرة ثابتة وهى لا ترى شيئا او مخلوقا غيره ٠٠ كانت تلتهمه بنظراتها وتطبع صورته فى ذهنها بخطوط من نار ٠٠ ان تلتهمه أطول من المعتاد ٠ ولقد

عرفت ذلك من الطريقة التي ينحني بها ليدخل رأسه من النافذة ٠٠ وكان منكباه يشغلان فجوتها تماما على رغم اتساعها . كان رجلا بديد القامة نحيف البنية أسود الشعر تضرب بشرته الى السمرة .في وجهه عينان لهما زرقة شديدة . . والطريقة التي كان ينظر بها اليها كانت في ذاتها اهانة وتحديا ٠

وقال سيمون تمبلار :

ــ اظنكم كنتم تتشاورون في مهاجمتي عما الذي يقعدكم الان ؟ ٠

ها انذا بين ايديكم اذا شئتم ٠

فقال بود الاحمر في غضب :

ــ اذا كنت تبغي عراكا فاني موجود . . هل انت فاهم ؟ ٠

ـ انتظر لحظة ! ٠

ولكن الفتاة اوقفت بود بحركة من يدها وهو يحاول أن يفتح الباب ٠ وقالت في تهكم :

ــ ان عصابة مستر تمبلار على قيد خطوة منه ٠ فلم ترمي بنفسك الى التهلكة ؟ ٠

فرفع سيمون حاجبيه في استنكار قائلا :

ــ كانت لي عصابة فيما مضى ثم انفرطت . . الم ينبئوك باني اعمل بمفردي ؟ .

ـ لو انهم انبأوني لما صدقتهم ٠٠ انك تبدو من الطراز الذي لا يتحدى الا وخلفه عشرة من الرجال المدججين بالسلاح يحمونه ويؤيدونه ٠

فاهتز سيمون اذ شملته موجة جارفة من الطرب ٠ ثم قال :

ــ انك محقة في هذا . . الا ترين اني ارتعد فرقا ؟ .

ــ ونقل نظراته الهازئة بين الفتاة وصاحبيها ٠ ثم

ارتسمت على شفتيه ابتسامته التهكمية وقال وهو ينظر الى استيفن وبود :

ــ ومن هذان ؟ اهما وصيفتا السيدة ؟ .

فقالت الفتاة :

ـ لنفرض انهما كما تقول ؟ ٠

ـ انها فكرة طيبة ! ٠

وعرفت الفتاة أن هاتين العينين يمكن ان ترسلا وميضا يدل على المرح بخلاف وميض السخرية ٠

وقالت الفتاة في رقة وعذوبة :

ــ يسرني أن تروق لك هذه الفكرة .

فقال القديس :

ــ اني ما جئت لأتحدث اليك في هذا . وانما جئت أسديك النصح ٠

ـ شكرا جزيلا ٠

ـ العفو ٠

ـ وأومأ باصبعه قائلا :

ـ يوجد هناك منزل ٠٠ لا تزعمي انك لا تعرفينه لاني امقت منك الكذب بلا داع ٠٠ وصاحب هذا المنزل هو اللورد استدين ونصيحتي اليك هي : لا تذهبي الى هذا القصر ٠

ـ حقا ٠٠ ؟

فاسترسل تمبلار دون ان يبالي بما قالت :

ـ تقام الليلة في هذا القصر حفلة ساهرة فلا احب ان تفسديها . لقد اجتمع فيه أغنياء المدينة من كل حدب وصوب ٠٠ لو انك رأيت الحلي والمجوهرات ٠٠

وكانت جيل قد فتحت حقيبتها واخرجت منها بطاقة بيضاء بسطتها اليه ليراها قائلة :

ــ أظنها تبيح لي الدخول ٠

- دعيني أراها .

واختطفها من بين أصابعها قبل أن تشعر بما فعل ، ولكنه تناولها في رقة لا يمكن أن تسمى اختطافا وقال :

- لو أنها كانت مزورة لكان تزويرها متقنا الى الحد الاقصى . ولكني لا احسب ان من العسير عليك يا جيل ان تحصلي على بطاقة دعوة لهذه الحفلة .

- انها غير مزورة .. وانني اريدها من فضلك ! .

ونظر القديس الى فوهة المسدس المصوب اليه وابتسم كأنما يرى منظرا ظريفا .

وحدجها بنظرة ثابتة وفي الوقت ذاته أخذ يمزق البطاقة قطعا صغيرة ألقاها في قاع السيارة .

وقالت الفتاة وهي تقرض على أسنانها :

- ان اعصابك من حديد يا تمبلار .. !

فقال في لهجة الرجل الذي يجيب طبيبه على أسئلته :

- الواقع انى لم اشعر باضطراب الاعصاب مطلقا .. ولكن الامر لم يكن في حاجة الى « اعصاب » في هذه المرة .. كل ما هنالك انى كنت اعرف انك لن تجسرى على اطلاق النار ما دمت ساكتا لا احاول مهاجمتك .. ان القتل دون استفزاز عمل لا تجرؤ عليه حتى جيل تريلوني .. ولكني ساكون حذرا في المرة القادمة .

فقال استيفن مزمجرا :

- هذا خير لك !.

فتفطن تمبلار للمرة الاولى الى وجوده وقال هازئا :

- هل تكلمت ؟ .

- لقد قلت انه خير لك ان تكون حذرا في المرة القادمة ! .

فقال القديس في استخفاف :

- اقلت هذا حقا ! .

ثم انسحب من النافذة . ولكن الظن بانه انصرف تبدد على الفور ، اذ فتح باب السيارة ووقف القديس وقدمه على الرفرف وقال :

- اخرج من السيارة .

- على اللعنة ان انا خرجت !.

- بل عليك اللعنة على أي الاحوال .. اخرج ! .

ومد سيمون يده وامسك بياقة استيفن وجذبه دفعة واحدة فاذا هو على قارعة الطريق وقال له :

- استيفن ويلد مهرب مخدرات .. ومحتال .. ونصاب .. واخيرا، وصيفة ، لجيل تريلوني .. ! الويل لك .. !

ورفع سيمون يديه فاستقرت قبضته اليمنى على فك استيفن . أما اليسرى فاستقرت في صدره فترنح وكاد يفقد توازنه ولكن القديس تلقفه والقاه فوق مقعد السيارة وهو يقول :

- من بعده ؟

فصاح بود الاحمر :

- اذا كنت تريد عراكا ..

وللمرة الثانية استوقفته الفتاة بأن قالت في تهكم :

- يجب ان لا تزعج مستر تمبلار .. انه رجل شجاع جدا .. ما دامت عصابته في انتظاره على قيد خطوات !

وللمرة الثانية رفع القديس حاجبيه في استنكار قائلا:

- أعدنا ثانية لهذه الخرافة ..؟ كيف يمكنني أن اقنعك بأن لا عصابة لي !

فاجابته بقولها :

- لا تتعب نفسك من فضلك .. ولكن اذا اردت ان تحضر الى المنزل رقم ٩٧ بشارع بلجراف في الساعة

الثالثة بعد ظهر الغد فستجدنا فى انتظارك •

فقال سيمون فى ابتهاج :

ــ سأحضر طبعا .. واعدك بشرف أن أحضر بمفردى •

ونظر اليها برهة ، ثم تراجع الى الخلف وابتلعه الظلام • ولكنه ما لبث أن ظهر ثانية قبل أن تتحرك السيارة وقال فى هدوء :

ــ وعلى فكرة ستكتبين مخالفة بسبب وقوفك هنا مدة طويلة والسيارة مطفأة الانوار .. انى آسف طبعا ولكن لا حيلة لى فى الامر •

وجعل يرقب السيارة وهى تبتعد وتشق طريقها فى الليل الساكن •

ربما كان يضحك •• وربما لم يكن يضحك •• ولكنه على أى الاحوال كان مبتهجا مسرورا •• كان للقديس اعداء كثيرون واصدقاء كثيرون •• ولكنه لم يلق بينهم جميعا عدوا كهذه الفتاة ظفر بعداوته وحبه فى وقت واحد !

ولبث مكانه برهة تتراءى له هاتان العينان اللتان ترميان بشرر الغضب وهذه الخصلات الذهبية التى تتهدل تحديا وعنادا .. وهذا الوجه الذى جعله الحقد يتألق ويزداد جمالا !

لبث فى مكانه برهة لم يكن يرى او يسمع فيها الا جيل تريلونى •

ثم ذكر انه وصف صاحبيها بأنهما « وصيفتان » .. وكان يعلم انه على حق فى هذا .. فأولئك الرجال الى جانبها أشبه بالنساء •

وعندما ذكر هذا الوصف ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ثم دار على عقبيه وانصرف •

الفصـــل الثانى

منذ اربعة او خمسة شهور تردد اســـم « ملائـــكة العذاب » لاول مرة فى العالم السفلى •

كان الامر مجرد اشاعة تتناقلها الافواه .. همســـة مزعزعة يهمس بها بعض الناس فى صوت خافت دون أن تلقى صداها عند رجال البوليس الذين يعرفون ولع المجرمين باطلاق الالقاب الرنانة والذين لا يأبهون الا للحقائق المادية البارزة .. ولكن جد من الحوادث مـــا اثبت أن « ملائكة العذاب » ظلا من الحقيقة .وأن جيل تريلونى قد تكون على رأس هؤلاء الملائكة

وكان هناك رجل يدعى فرديناند ديبر وان كانت له فى سجلات البوليس اسماء كثيرة متباينة

وكان يكتسب معاشـــه بالرقص .. أى أن بعض النساء المتقدمات فى السن اللائى تتخطـــاهن العيـــون ينقدنه اجرا طيبا لكى يراقصـــهن • وبعد حين يدفعن اليه الاجر لكى يمسك لسانه عن الخـــوض فى اسرارهـــن والتحدث بما عرف من مباذلهن وتهتكهن •

وديبر ذكى حاذق .. وفريسـاته مغفلات ساذجات •• وهكذا مضت مدة طويلة والمجتمع يعانى من وبلاته الشىء الكثير دون أن تصيب يد العدالة منالا •

ولكن امرأة اقل تغفيلا وسذاجة من زميلاتها تقدمت يوما بشكواها ضد ديبر وذكرت انها وجدت نفســـها مكرهة على أن تعطيه شيكا بألفى جنيه لـــكى تصـــون سمعتها من فلتات لسانه .. ففى الوقت الذى صـــعد فيه ديبر الى ظهر الباخرة فى ميناء دوفر لحق به شرطى سرى تقبض عليه ورجع به الى القطار عائدين الى لندن .. ولكن الشرطى السرى بشر قبل أن يكون شرطيا •

فلما شاطرته مقصورته فى القطار امرأة حسناء وقدمت اليه سيجارة ، تناولها شاكرا ودخنها .. وهكذا ايقظه عمال القطار فى محطة فيكتوريا وبعد اسبوع وصلته من الجزائر بطاقة ارسلها اليه ديبر معربا فيها حبه مع تمنياته .

وتناثرت الاشاعات وجاءت الى ادارة الامن العام معلومات سرية تجمع وتشير كلها الى « ملائكة العذاب » واصبعها فى هذا الحادث .

ولكن ادارة الامن العام هزت كتفيها فى غير مبالاة ولم تصدق ان لملائكة العذاب وجودا ، بل عدت الامر كله مجرد اشاعة اطلقها ديبر لتلفتها بما تستحق من الاستخفاف .

وبعد ثلاثة اسابيع اطلق لص يدعى جالون النار على شرطى فى شارع ريجنت فأرداه قتيلا واستطاع الفرار . ولكن رجال البوليس كانوا على علم بالمخبأ الذى يلوذ به جالون فى ضواحى لندن . ففى ذات يوم قصد الى هذا المخبأ ثلاثة رجال مسلحون لكى يقبضوا عليه وهو مستغرق فى نومه .

ولكن فى صباح اليوم التالى وصلت الى ادارة الامن العام رسالة مذيلة بتوقيع ملائكة العذاب تتضمن حكاية عجيبة . فاوفدت الادارة بعض مفتشيها الى المخبأ السرى فوجدوا الرجال الثلاثة هناك .. ولكنهم لم يجدوا جالون !

وتناثرت الاشاعات للمرة الثانية بأن لملائكة العذاب اصبعا فى الحادث ، وقيل ان الرجال الثلاثة المسلحين ما كادوا يقبضون على جالون حتى انطلق فى الغرفة غاز مخدر افقدهم الوعى .. وبعد اسابيع حمل البريد الى مدير الامن العام رسالة من جالون مصدرها امريكا ينبئه فيها بأنه بخير ويشكره !

وهكذا تتابعت شهور ثلاثة واسم ملائكة العذاب يزداد سطوة وبروزا اسبوعا بعد اسبوع ، الى ان جاء يوم صار فيه لهذا الاسم ملف خاص فى ادارة الامن العام . اما جيل تريلوني فكانت فى نظر البوليس هى زعيمة هذه العصابة ورأسها المدبرة .

ولقد انتهت الى سيمون تمبلار انباء هذه العصابة ، فقرأ عنها ما نشرته الصحف وسمع ما تتناقله الافواه . فراقه الامر وصح عزمه على متابعته .

وفى ذات يوم دعا تمبلار المفتش تيل الى تناول الغداء معه .

وكان تمبلار يعرف ان تيل رجل أكول فاعد له اشهى الطعام واطيب الشراب ، فلما امتلأ التفت اليه وقال عرضا :

ـ على فكرة .. الا تذكر يا عزيزى كلود اوستن أن ادارة الامن العام طلبت الى يوما ان التحق بقسم البوليس السرى ؟ .

فنزع المفتش تيل السيجار الضخم من بين شفتيه وحملق فى تمبلار فى شىء من الريبة وقال فى اقتضاب :

ـ انى اذكر هذا .

ـ وهل تذكر بماذا اجبت ؟ .

ـ لست اذكر طبعا جوابك حرفا بحرف ولكن .

ـ لقد رفضت ما عرض على .

فاحنى تيل رأسه وقال :

ـ هذا صحيح . وانى اعتقد ان رفضك اكبر مكرمة اسديتها الى .

فابتسم سيمون تمبلار وقال :

ـ اذن ارجوك يا عزيزى كلود أن تتماسك وتستجمع شجاعتك .

فنظر اليه تيل مستفسرا وقال :

– اتريد ان تكون بوليسا سريا .؟ ؟

– فاحنى القديس راسه وقال :

– لقد بدأت اشعر منذ زمن باني لم اخلق لاكون لصا ·· لقد خلقت لاكون شرطيا · وأؤكد لك انى سانجح فى مهنتى الجديدة نجاحا لا يعادله الا نجاحى كلص · وفى الجو الان قضية معقدة لا يمكن ان يحلوها الا رجل مثلى ·· الا تحب يا كلود ان اكون زميلا لك ·؟

فصرخ المفتش تيل قائلا :

– انى لا اكره الا هذا · !

ولكن كبار الرؤساء فى ادارة الامن العام لم يكونوا يشاطرون المفتش تيل رايه ·

فمنذ زمن طويل اجتمع هؤلاء الرؤساء وتشاوروا فى امر القديس واستقر منهم الراى على ان لابد لهم ان يفعلوا شيئا . لقد حاولوا أن يقبضوا عليه فاخفقوا .. وحاولوا ان يدينوه فاخفقوا ·· ولكن الشيء الوحيد الذى لم يحاولوه هو ضمه اليهم . وعلى هذا صح عزمهم .

فى ذلك العهد كان المفتش تيل يتمنى لو خسر من عمره عشرة اعوام مقابل أن يتأبط ذراع القديس ليقوده الى اقرب مخفر للبوليس .. فى ذلك العهد كان كثيرون من رجال العالم السفلى يتمنون لو نزلوا من حريتهم عن عشر سنوات لكى يظفروا بالقديس فيقذفوا به الى اتون متأجج اللهب · ولكن على الرغم من هذه التمنيات الطيبة كان تمبلار لا يزال على قيد الحياة سليما معافى يهزأ برجال البوليس وبالخصوص على السواء ·

كان لا يزال على عهده ماضيا فى مغامراته يداعب رجال الشرطة ويقتص من المجرمين غلاظ القلوب . فى بساطة · وهدوء ·· واستخفاف · وعلى شفتيه ابتسامة

القديس المعروفة ·

وقال سيمون تمبلار فجأة :

– نعم ·· ساصبح شرطيا ·· انى أريد ان اهتم بجيل تريلونى اسمع يا عزيزى كلود ·· لقد كان فى نيتى ان اعتزل هذه الحياة الصاخبة ولكن ما دامت جيل قد ظهرت على المسرح · وما دمتم عاجزين عن ان تفعلوا حيالها شيئا فسأتقدم انا الى الميدان ·

وبعد ان بسط القديس رايه فى وضوح وتحدث فى اسهاب عن ذكائه ومقدرته وعجز رجال الشرطة سمح له بان يعيد ما قاله على مسامع مدير الامن العام · ولكن الحديث فى هذه المرة كان وجيزا اختتمه المدير بقوله :

– لك ذلك اذا شئت ·· يمكنك ان تطلع على الملف الخاص بها وعلى صورها الفوتوغرافية · لقد اعددنا لها ملفا عقب تدخل الملائكة فى مداهمة البوليس لوكر هاربى مهرب المخدرات وما يترتب على ذلك من عرقلة هذا الهجوم وافساده ·

فقال القديس :

– ولكنها استطاعت أن تتقدم اليكم بدليل نفى قوى لم تجدوا فيه منفذا ·

فقال المدير فى اقتضاب :

– اقبض عليها · !

فكان جواب سيمون ان قال فى هدوء :

– امنحنى ثلاثة اسابيع ·

وغادر ادارة الامن العام وهو يتغنى بانشودة وضعها بنفسه مطلعها : « انا الرجل الذى قتل ال كابون » .

ولما مر بحارس الباب ورأى منه نظرة الدهشة والاستغراب كف عن الغناء ومشى مقطب الجبين متجهم الوجه حتى يكون شبيها برجال البوليس المحترمين !

وكان هذا قبل أن يرى جيل تريلونى للمرة الاولى بست وثلاثين ساعة ·



وفى الساعة الثالثة من بعدظهر اليوم التالى لمقابلته لها كان سيمون تمبلار يجتاز شارع ملجراف فى مشية رزينة متزنة تلقنها عن رجال البوليس ويطرق باب المنزل رقم ٩٧ ثم يدخل الى قاعة الاستقبال ·· وكان استيفن ويلد وجيل تريلونى فى انتظاره هناك ·

وقال سيمون يحييهما :

ـ طاب يومكما ·

والقى التحية فى لهجة مازحة ساخرة ولكنه كان مسرورا طروبا حين رأى فى ملامحهما ما يدل على ان حبهما له لم ينقص عما كان عليه من قبل ·

وتكلمت الفتاة قائلة :

ـ ما كنا نتوقع قدومك ·

فاجابها القديس فى بساطة :

ـ هذا خطأ منكم ·

وقذف بجسمه على المقعد وارسل بصره الى باب القاعة الذى أغلق عقب دخوله وقال :

ـ انى لا أحب منك رأيك فى اختيار الخدم ·· الا تعرفين ان خادمك فريدريك ويلز فى ادارة البوليس سجلا حافلا بالوقائع ·· ؟ الا تخشين أن يختفى يوما وتختفى معه الاوانى الفضية ·· ؟

ـ ان ويلز مثال الخادم الامين ·

ـ هذا بديع ·· وكيف حال صاحبنا الاحمر ·· ؟

ـ انه بعد فى الخارج الان · ولكنه لا يلبث أن يعود ·

ـ للمرة الثانية : هذا بديع ·

ثم شمل استيفن ويلد بنظرة ازدراء وقال :

ـ وما هى وظيفة هذا المخلوق فى البيت ·· ؟ أيتولى الاشراف على تربية الدجاج ·· ؟

فعض ويلد على شفته ولم يقل شيئا ·· وكان حكيما فى صمته لان الجرح الذى اصاب فكه بالامس علمه متى يحسن الصمت ·

وقالت الفتاة :

ـ ان مستر ويلد صديق لى · ويسرنى ان تكف عن اهانته ما دام فى بيتى ·

فاحنى تمبلار رأسه وقال :

ـ انى اعتذر اليك ·· !

ولكن طريقته فى الاعتذار كانت فى ذاتها اهانة جديدة ·· وشعرت الفتاة بموجة الغضب تكتسحها وتتدافع فى صدرها كما كان شأنها بالامس · ولكنها قالت متظاهرة بقلة الاكتراث ·

ـ ان الشىء الذى يدهشنى يا تمبلار هو انك لا تزال على قيد الحياة حتى الان ·

فقال فى تواضع :

ـ حاول كثيرون اغتيالى فاخفقوا ·· ولكن الباب لا يزال مفتوحا ·· !

ثم اردف قائلا :

ـ وعلى فكرة .. كيف حال اللاكمة اليوم ·· ؟

فلوحت بيدها واجابته :

ـ على ما يرام ·· شكرا لك ·

ـ يسرنى ان اسمع عنهم اطيب الانباء · ايمكننى

الجلوس ٠٠ ؟

ـ افعل ٠

فجلس وهو يقول مقاطعا :

ـ شكرا ٠٠ ولكن يمكنك ان تظنى ما شئت ٠

وتناولت سيجارة من الصندوق الموضوع الى جوارها وثبتتها فى مبسم طويل من الكهرمان فاسرع استيفن واشعلها لها ٠

وقال سيمون يعاتبها :

ـ لقد نسيت أن تسأليني عما اذا كان التدخين لا يضايقنى ٠٠ ؟ أين قواعد اللياقة ياجيل ؟

فتحركت فى مقعدها وكانت حركتها اكثر حدة مما تبتغى ثم قالت :

ـ كنت أوثر ان يوفد الى رجال البوليس رجلا مهذبا لمضايقتى فقال القديس مجيبا :

يؤسفنى ان أقول ان رجال البوليس المهذبين ذهبوا جميعا لمضايقة نساء مهذبات ٠ فلم ير المدير بدا من ان يوفدنى اليك معتقدا انى اليق الناس بك ٠٠ ومع ذلك فسأرفع شكواك الى المدير عندما أعود الى ادارة الامن العام ٠

ـ « اذا » عدت ٠٠ !

فقال القديس مسترسلا :

ـ عندما أعود بعد ظهر اليوم ٠٠ والحق ان هذه المهمة لا تروقنى انى لا احب الا منازلة الرجال الاكفاء لا الفتيات السخيفات الساذجات ٠٠ ان فى منازلتى لفتاة مثلك مهانة لشرفى كبوليس سرى ٠

ولم يشا استيفن ويلد ان يصبر على هذا فصاح قائلا :

ـ لماذا تضيعين الوقت سدى ٠ ؟!

فقال القديس مجيبا :

ـ انها تتسلى أيها القر الابلة ٠٠ نعم ٠٠ لماذا تضيعين الوقت سدى ٠٠ ؟ لقد كنت أتوقع وانا اجتاز الردهة ان ينفتح باب سرى تحت قدمى فأسقط الى هاوية متصلة بالنهر ٠٠ أو ان يصعقنى تيار كهربائى قوى وانا اضع يدى على سياج السلم ٠٠ او تنطلق رصاصة من مسدس مخبأ فى الجدار بطريقة آلية وانا اضع قدمى على الدرجة العاشرة فتستقر فى رأسى ٠ ولكن شيئا من هذا لم يقع فاين ذكاؤك وعبقريتك ياجيل ٠٠ ؟

ـ تمبلار ٠٠ !

ـ يا الهى ٠ من أين لك هذه اللهجة الباريسية الصحيحة ٠ ؟

اتعلمتها فى السينما الناطقة ؟

وكان سيمون طروبا ٠٠ لا يكف عن المزاح ٠٠ واضطرت الفتاة ان تعترف فيما بينها وبين نفسها بأنه يتسلى على حسابها ٠٠ وانه يعبث بها كأنها كرة بين يديه ٠٠ فاذا ما بدرت منها أقل بادرة تدل على الامتعاض اغتنم الفرصة وراح ينغصها ويهيجها ٠

ـ وقال سيمون تمبلار :

ـ الا تنوين ان تكفى عن مضايقة اللورد استدين ؟ يزورنا بالامس فى ادارة الامن العام وهو مضطرب الاعصاب يرتعد فرقا ٠٠ لا تنسى ياعزيزتى انه ليس قوى الاعصاب مثلى ٠٠ فنصيحتى اليك هى أن تقتليه دفعة واحدة بشكل يكفل له الهدوء والاطمئنان ٠

فقالت الفتاة فى غير اهتمام :

ـ ان مسئوليتى عما اصاب استدين او عدم مسئوليتى أمر مازال فى حاجة الى الاثبات ٠

فأجابها سيمون بنفس عدم الاهتمام :

– ولكنها حاجة لن تبقى طويلا ٠٠ ان معاونيك اغبياء جهلة ٠

واخرجت جيل تريلوني من حقيبتها مرآة صغيرة واصبعا لطلاء الشفاة وأمضت برهة وهى مهتمة بتجميل فمها ٠

ثم قالت فجأة :

– تمبلار ٠ انك وعدتنى بشرفك ان تحضر اليوم منفردا ٠

– يالها من مهزلة ٠ ! وهل صدقتنى ٠ ؟

– كنت على استعداد لتصديقك

– انك طفلة غريرة ومداجتك تدهشنى ٠

ونهض واقفا ومشى الى النافذة فى خطوات سريعة وارسل بصره الى الخارج ثم نظر الى الفتاة وقال :

– تعالى هنا ٠

واقتربت منه بعد شيء من التردد وفى مشيتها ضجر وسامة فقال لها :

– انظرى هناك ٠

واومأ باصبعه بطريقة تنم عن التحدى وقال :

– هل ترين وهل تسمعين هذا الرجل الذى يغنى « الوردة الذابلة » على البيانو المتنقل ٠٠ ؟ انه ينتظر ان أخرج لكى آمره بالانصراف ٠٠ وهل ترين هذا الرجل الذى يبيع المثلجات ٠٠ ؟ انه ينتظرنى ايضا ٠٠ وهذا الرجل الذى يبيع الصحف على مقربة منه ٠ ؟ كلهم من رجال البوليس ٠٠ انت التى اوحيت الى بهذه الفكرة ٠٠ ألم تقولى فى المرة السابقة انى من طراز لا يتقدم الى الميدان الا وخلفه عشرات من الرجال المدججين بالسلاح ؟ ولكنى اطمئنك ٠٠ انهم ليسوا عشرات ٠٠

ولكن عشرة واحدة فقط ٠٠ وهم يضربون حصارا حول البيت فى انتظار خروجى ٠

فقالت الفتاة فى هدوء :

– انى آسفة ٠٠ كنت أظن ان شرفك يساوى شيئا اما الآن ٠٠

– اما الآن فقد تعلمت ما كنت تجهلين ٠

والتمعت عيناه جذلا واستطرد قائلا :

– ليت شعرى ماهى المقابلة التى اعددتموها لى ٠٠ ؟ اينتظرنى بود الاحمر فى الردهة ومعه حفنة من الملائكة ٠ ؟ أم تنوين ان تضغطى زرا فيتفتح الباب السرى تحت قدمى ويتكهرب سياج السلم وتنطلق الرصاصة من الجدار بالطريقة الآلية ٠٠ ؟

ونظرت اليه الفتاة وعيناها ترميان بالشرر دون ان تحاول اخفاء عواطفها ٠٠ لقد استحالت دفعة واحدة فهدة هائجة متوحشة ولكنها كانت فهدة جميلة ٠٠ !

وتكلمت قائلة :

– انك تظن نفسك ذكيا ياسيمون ٠٠ !

فتمتم فى تواضع قائلا :

– انى موقن من هذا ٠

– انك تظن ٠٠

فقال مقاطعا :

– انى اظن اشياء كثيرة ٠٠ ولكنى لا اتكلم بكل ما يجرى فى خاطرى ٠٠ فمثلا عندما دخلت كنت اتوقع احدى المبتكرات التى ذكرتها لك قبلا وصلت اليك دون ان يصيبنى شيء عرفت ان الاجهزة الميكانيكية معطلة اليوم ومن حسن حظك انها معطلة . والا فرجال البوليس بالباب كما تعلمين ٠

وكان تمبلار يخاطبها بنفس اللهجة التى يخاطب بها

طفلا عنيدا ، شقيا ، على الرغم من علمه بأنها بلغت الثانية والعشرين .

وقالت الفتاة وهي تغالب غضبها :

ــ لن يمنعك أحد ياتيبلار من ان تعود الى رجالك .

ــ ولن يقدر أحد !

ونظر الى ساعته قائلا :

ــ انهم ينتظرون عودتي في خلال خمس دقائق .. لقد حضرت حتى لا اخيب رجاءك .. ولانى كنت اعتقد ان لديك ما تحبين ان تفضي به الى .

ــ ليس لدى شيء .. يقال

ــ ولكن لديك أشياء .. تعمل

ــ يجوز !

فارتسمت على شفتي تيبلار ابتسامته الهازئة وقال :

ــ وددت لو ان أباك كان على قيد الحياة ليسمعك وانت تتكلمين بهذه اللهجة الباريسية الخالصة .

ــ دع أبي وشأنه !

ــ اتريدين حقا ان ادعه وشأنه ؟ اذلن فلن احقق رغبتك وقست نظراتها وتصلبت عضلات وجهها وقالت في صوت منخفض .

ــ لفقت ضد ابي تهمة كاذبة !

ــ ولكن التحقيق كان نزيها عادلا .. ان وكيلا لادارة الامن العام لا يمكن ان يفصل من عمله الا اذا اخذته الريب بما لا يدع مجالا للشك .. ومع ذلك فليس في هذا ما يبرر ما تقومين عليه الآن .

ــ ولكنه يرضيني !.

وكانت في صوتها نبرة ملتهبة جعلت القديس يصغي اليها في احترام وافتتان .

واسترسلت بنفس الصوت المنخفض المفتعل قائلة :

ــ دبروا ضده تهمة ملفقة ثم طردوه . فقتلته الصدمة ومات بعد شهر واحد .. مات وهو ينكر ما أسند اليه .

ــ وهل تعتقدين ان هذا يخولك حقا في الانتقام بالطريقة التي تلجأين اليها ؟ .

ــ لقد ادانوه في جريمة لم يرتكبها . ولحقني العار ونالتني الريب انا ايضا . ولهذا اردت ان اقدم اليهم ما يتيح لهم محاكمتي وادانتي عن وجه حق .

وتفرس فيها القديس برهة ثم قال في هدوء :

ــ وماذا يكون من شأن هذا الطفل الصغير الذي ينتظرك في الولايات المتحدة ؟

فاجفلت الفتاة واختلجت عيناها وقالت :

ــ اي شيء تعرف عنه ؟

فهز القديس كتفيه قائلا :

ــ قد يدهشك ان تعلمي انى أعرف أشياء كثيرة .. وقد تتكلم في هذا يوما ما يا جيل .. نعم .. قد تتكلم في هذا يوم تقلعين عن هذه السخافات ويوم تنمو أجنحة ملائكتك فيطيرون عنك .

وخبا من عينيها ذلك الوميض الرقيق الذي انبعث منهما حين ذكر القديس ، ذلك الطفل الذي ولد في الولايات المتحدة ، فاشتدت نظراتها ثانية وتصلبت عيناها ثم ضحكت ضحكة قصيرة وقالت :

ــ سأعود حينما لا تكون ثمة فائدة من بقائي !

فرجع القديس الى تمثيل الدور الذي ارتضاه لنفسه وقال في هدوء :

ــ ان هذه المهنة لا تليق بك يا جيل .. كان يحسن بك أن تكوني مؤلفة روائية .. ملائكة العذاب .. ! يا له من اسم جميل لرواية بوليسية طريفة !

وساد الصمت برهة ثم قال القديس :

ـ لابد أن انصرف الآن .. ولكننا سنلتقي ثانية .. وفي وقت قريب .. لقد وعدتهم بالقبض عليك خلال ثلاثة أسابيع وقد مر يومان ونصف .. ولكني لن أخفق فكوني مطمئنة .

ـ اني مطمئنة ! وفي المرة التاليـة حين تمنحني بشرفك ..

فقال القديس ينصحها :

ـ لا تصدقي حرفا مما أقول .. اني في بعض الاحيان أحب ان أمكر بالناس وأخدعهم .. والآن طاب يومك يا حبيبتي !

ومشى الى الباب وهبط السلم ورأى في البهو بود الاحمر ومعه نفر من الرجال .

وتكلمت الفتاة وهي على رأس السلم قائلة :

ـ ان رجال مستر تمبلار ينتظرونه في الخارج يا بود فدعه يخرج .

فابتسم القديس وقال :

ـ يؤسفني يا « أحمر » أن أخيب رجاءك !

ولكن بود الاحمر اعترض طريقه وسط الباب بجسمه فكان جواب سيمون على هذا التحدي ان سدد اليه لكمة أزاحته عن الباب . ثم خرج في هدوء :

ودنا من عازف البيانو ودس في يده فرنكا وهو يقول :

ـ أتعرف يا صديقي أنشودة عن الوداع ؟ حسنا . اعزفها اذن .. اعزفها مرتين أو ثلاثا اذا شئت .

وركب تمبلار سيارته وأرسل بصره الى نافذة البيت ورأى خلف الزجاج عينين ملتهبتين ترميانه بنظـرات يتطاير منهما شرر الحقد .

وقال ستيفن وبلد صاخبا :

ـ كيف تدعينه يفلت بمثل هذه السهولة ؟ .

ـ لا تكن غبيا . ! ألا تعرف أن رجاله ينتظرونه في الخارج . لو اننا مسسناه بسوء لكان هذا دليلا قاطعا ضدنا ولوقعنا في التهلكة حسبي أني عرفته أكثر مما كنت أعرفه من قبل .

وارتفع صوت عازف البيانو بأنشودة الوداع وفي نفس اللحظة دق جرس التليفون فتناولت جيل السـاعة وسمعت صوتا هازئا متهكما لا يمكن أن تخطىء صاحبه . وكان الصوت يقول :

ـ هالو .. !

ـ نعم يا مستر تمبلار ؟

ـ أرجوك أن تأمري ملائكتك بأن لا يتعرضوا بسوء لعازف البيانو ذو الصوت المنكر . انه لايعرفني وهو ليس من رجال البوليس وكذلك شأن بائع المثلجات وبائع الصحف . ألم أقل لك اني أحب في بعض الاحيان أن أخدع الناس وأمكر بهم . ؟

وردت جيل السماعة الى مكانها دون أن تحفل بالاجابة على أسئلة ستيفن الذى كان متلهفا الى معرفة الحديث الذى دار بينها وبين القديس .

ودنت بل تريلوني من النافذة وأخذت تصغى الى العازف وهو يرفع صوته المنكر بأغنية الوداع . !

وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفـة وانبعثت تقول :

ـ يا له من مداعب محب للمزاح . !

ثم غاضت الابتسامة دفعة واحدة وقالت في صوت شديد النبرات :

ـ لقد انتهت الجولة الأولى . وعما قريب تبدأ الجولة الثانية .. والويل للمغلوب . !

الفصل الثالث

كان سيمون تمبلار فى ذلك العهد يقيم فى حى مايفير جاعلا من مسكنه حصنا لا سبيل الى اقتحامه ولو حاول أن يدخل اليه تيل أو ألف من طراز تيل .

ومن الغريب أن هذا الحصن الحصين الذى جعل ملاذا للص خطير خارج على القانون قد صار الآن ملاذا لشرطى أمين شريف .

نعم .. لقد انقلب القديس فصار شرطيا بما لا يدع مجالا للشك . وفى وسعه الآن أن يأمر رجال البوليس بأداء التحية العسكرية له وهم الذين كانوا منذ بضعة أيام لا يتمنون الا القاء القبض عليه . !

وجمعت مائدة الغذاء بينه وبين المفتش تيل للمرة الثانية فقال له

ـ انظر الى .. ألا ترانى شرطيا محترما ؟.

فتنهد تيل ولم يجب وكتم ما جال فى خاطره ، نعم كانت لتمبلار مظاهر الشرطى الشريف المحترم . وهذه المظاهر هى التى كانت تثير ريبة تيل وشكوكه . كان القديس محترما الى درجة تحرك الوساوس . ! كان شريفا الى حد يبعث الشك !

وكان القلق يساور المفتش تيل وهو يرى فجأة هذا الرجل الشرير وقد انصلحت حاله حتى ارتد شريفا أكثر من الشرفاء .. وأمينا أكثر من الامناء !

لم يكن كلود أوستاس حديث عهد بالقديس .. كان يعرفه حق المعرفة .. وكان يعرف نزعاته ونزواته ..

فادهشه أن يجده الآن خاضعا للقانون بهذا الشكل العجيب . وفى هذا كان يحدث نفسه دائما . ولكنه كان دائما أيضا يحتفظ بظنونه وشكوكه .

على أن تمبلار ما كان ليحفل بآراء المفتش تيل لو أنه علم بها .. كان مقبلا على مهنته الجديدة بهمة لا تعرف الكلل غير عابىء بما يقول عنه الناس ولم يكن يعنيه الا شيء واحد : هو أن يتلمس من الضحايا من يصلحون أن يكونوا أهدافا لمزاحه ودعاباته .

ولكن الشيء الذى كان يضايقه أشد المضايقة هو أن يجد متاعب المهنة تلاحقه حتى فى أوقات راحته واستجمامه .. ففى منتصف ليلة اليوم الذى زار فيه شارع بلحريف أصابت رصاصة النافذة التى يجلس الى جوارها واستقرت فى الجدار وأزالت جزءا من طلائه .

وضايق هذا الحادث القديس .. لا لانه كان يخشى هذه الرصاصة وانما لان اطلاقها أفسد الجدار .. وقطع عليه تفكيره فى قصيدة كان مشتغلا بنظمها . !

ونهض تمبلار واقفا ونظر الى الجدار فعرف من الأثر الذى تركته الرصاصة انها انطلقت من الخارج .. فتناول قميصا أبيض اللون وثبته على عصائم أطفأ النور واقترب من النافذة جاعلا رأسه فى مستوى أشد انخفاضا من حافة النافذة .. وجاعلا القميص الابيض ظاهرا فى تجويفها ..

وما كاد القميص يظهر فى النافذة حتى انطلقت من الخارج رصاصة أخرى مرت على مقربة من القميص واستقرت فى الجدار كسابقتها .

ولم تكن للرصاصة صوت مسموع دلالة على انها اطلقت من مسدس ركب بفوهته جهاز لكتم الاصوات . ولما لم يكن القديس ممن يهتمون بمثل هذا التكتم فقد أخرج

مسدسه من جيبه وأرسل منه سيلا من الرصاص على السيارة الكبيرة التي كانت واقفة في نهاية الارض الفضاء الواقعة خلف المنزل .. ثم نهض واقفا وأسرع يهبط الدرج وهو يقول لخادمه :

ـ عد عشرة ثم افتح الباب وانبطح على الارض .

اما القديس فدخل قاعة الاستقبال في الدور الارضي وأزاح ستار النافذة في الوقت الذي سمع صرير الباب وهو يفتح .

وكان مطمئنا الى أن الرصاص لن يصيب خادمه اذ علمه من قبل كيف ينبطح على الارض في الوقت المناسب .. وكانت الغاية التي يرمي اليها هي أن يوقع في روع أعدائه أنه هو الذي فتح الباب فاذا ما وجهوا اهتمامهم الى هذه الناحية خرج اليهم من النافذة وباغتهم من الخلف .

ولكن حدث في هذه اللحظة شيء لم يكن يتوقعه تمبلار .. كان يعتقد أن أعداءه سيطلقون مسدساتهم على الباب بمجرد فتحه .. ولكنهم لم يطلقوا المسدسات وانما اطلقوا مدفعا رشاشا .. اذن فهذه السيارة من النوع المصفح الذي تستعمله العصابات في أمريكا !

وكان من الخرق أن يخرج القديس ومسدسه في يده ليستقبل هذا السيل الجارف من النيران الملتهبة .

وان هي الا لحظات حتى انطلقت السيارة تنهب الارض بأقصى سرعتها !

فوثب القديس من النافذة وحاول أن يقرأ رقمها .. وشعر بيد توضع على كتفه .. فلما التفت رأى امامه الكونستابل الموكل بهذه الناحية .

فصاح به :

ـ دعني أيها الابلة .

فلما عرفه الكونستابل رفع يده الى رأسه بالتحية العسكرية وقال معتذرا :

ـ انها سيارة يا سيدي .

فقال القديس في تهكم :

ـ سيارة .. ! هذا غريب .. ! لقد ظننتها جملا .. ! ألم تستطع أن تقرأ رقمها بدلا من أن تحاول أن تقنعني بأنها سيارة !

ودار القديس على عقبيه ورجع الى البيت فوجد خادمه هوراس يضمد جرحا صغيرا في ذقنه فقال له :
هوراس يضمد جرحا صغيرا في ذقنه فقال له :

ـ هل أصابوك يا هوراس .. ؟

ـ كلا يا سيدي .. ولكنها قطعة من الزجاج اصابت ذقني .

ـ من حسن الحظ أنها لم تصب عينك والا لعجزت عن رؤية النساء الجميلات في المستقبل .

وصعد الى غرفته على الفور .

ولم يكن رقم السيارة بالامر المهم اذ كان القديس موقنا من أن لوحة الرقم أزيلت ووضعت مكانها لوحة أخرى على سبيل التضليل قبل القيام بهذا الهجوم ولكنه رأى على اية حال الا يدع أثرا الا طلب الى رجال البوليس النظاميين متابعته .

وحين سمع مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام بما حدث استغرب أن تبلغ الجرأة من مجرمي لندن هذا المبلغ . فقال له تمبلار :

ـ انها فيما أعتقد فكرة بود الاحمر .. لقد عاش طويلا في شيكاغو واستخدم هناك هذا النوع من السلاح ..

ولكن الدافع الرشاشة لا ترهبني .

فضحك الوكيل وقال :

ـ انهم يعتبرونك رجلا عظيما ولهذا جاءوك بسلاح عظيم !

فابتسم القديس وقال :

ـ الواقع انى ممتن لهم من اجل هذا التقدير .. لقد حدث بيني وبين جيل تريلوني بالامس نقاش ودى وما كنت اتوقع منها اقل من هذا .

وتناول وكيل ادارة الامن العام السيجارة التى قدمها اليه تمبلار فاشعلها واخذ يدخن فى سكون .

كان مستر كوليس فى اول امره شرطيا صغيرا ولكنه مالبث ان تدرج فى المناصب الادارية المختلفة حتى بلغ اليوم اكبر منصب بعد منصب المدير العام دون ان تقعد به همته عن السعى الى ما هو ارفع واكبر .

وقال مستر كوليس يسال القديس فجأة :

ـ ما رأيك فى جيل تريلونى .. ؟

ـ انها طفلة ظريفة

فقال الوكيل ساخرا :

ـ نعم .. ظريفة والمدفع الرشاش احدى الطرق التى تظهر بها ظرفها ..

ـ ألم تقابلها ؟

ـ كلا .. ولكنى كنت اعرف اباها طبعا .

فابتسم تمبلار وقال :

ـ ان اباها كان يمقتني اشد المقت وهو وكيل لادارة الامن العام ويظهر انه اورث ابنته حقده ومقته .. ولكن حدثني عن حكايته .. اني اريد ان اسمعها ثانية

فقال كوليس مجيبا :

ـ لقد لبث تريلونى طول الوقت ينادى بأنه برىء وان التهمة مدبرة ملفقة .. وقد نادى بهذا فى التحقيق الابتدائى وظل مصرا على اقواله حتى النهاية .. وكان هذا الزعم هو الدفاع الوحيد الذى يتقدم به .. ولكنك تعلم انه ضبط وهو متلبس بفعلته فلم يكن هناك مجال للشك بعد ذلك .

ـ حدثنى بالتفاصيل

ـ لقد لاحظنا فى ذلك العهد ان حركات البوليس وخططه كانت تتسرب الى الخارج .. فما وضعت خطة للقيام بهجمة مفاجئة الا اتصل نبأها بالمجرمين الذين سنهاجمهم فتخفق الخطة ويهرب من ينشدهم البوليس .. وكان لابد من عمل شىء حاسم حيال هذه المسالة .. ففى ذات يوم دعانى المدير العام انا ومراقب آخر (اذ لنا عهد طويل بخدمة البوليس) وعهد الينا بان نقوم بهجمة فجائية فى مساء الخميس القادم . وفى صباح يوم الخميس ذاع عمدا ان الغارة ستقع يوم السبت .. ولكننا قمنا فعلا بهذه الغارة فى مساء الخميس فباغتنا العصابة التى افلتت منا مرتين من قبل وقبضنا على افرادها جميعا . ولكننا لم ننقلهم الى السجن وانما ابقيناهم فى مكانهم واقمنا على حراستهم نفرا من رجال البوليس الملكيين . وكتمنا امر وقوع هذه الغارة عن جميع موظفى ادارة الامن العام فلم يعرف بها الا نحن الثلاثة ورجال البوليس الذين قاموا بها والذين لبثوا فى مكان الحادث لا يبرحونه وان كان الثابت فى سجلات الادارة انهم فى اجازة رسمية . وفى صباح يوم الجمعة حمل البريد الى مقر العصابة رسالة لم تتضمن الا كلمة واحدة هى : « يوم السبت » وكانت هذه العبارة مكتوبة على الآلة الكاتبة

وعلى ورق من المستعمل فى ادارة الامن العام . . وتولى الخبراء فحص الرسالة فعرفوا على الفور انها كتبت على الالة الموجودة فى مكتب سير فرانسيس تريلونى وكيل ادارة الامن العام .

فقال تمبلار متسائلا :

ـ ولكن فى وسع أى انسان ان يستعمل هذه الالة اذا اغتنم فرصة تغيب تريلونى عن مكتبه . . !

ـ كان طابع الرسالة يدل على انها صادرة من مدينة روين .. وكان بروبيه قد ذهب بعد ظهر الخميس الى روين فى مهمة رسمية .. فكان فى هذا قرينة اخرى على انه هو الذى اودع الرسالة صندوق البريد .

ـ قرينة واهية . . اذ يجوز ان يكون سواه هو الذى اودعها .

فقال مستر كوليس مستطردا :

ـ هذا صحيح . . ولكنها على اية حال قرينة مهدت لنا السبيل الى قطع الشك باليقين . . لم يعرف بأمر هذه الرسالة الا المدير العام وانا فعولنا على مراقبة تريلونى دون ان يشعر والامر متروك بعد هذا الى ما تتمخض عنه هذه المراقبة . كنا فى ذلك الوقت نسعى الى القبض على ولدستين وهو لا ينفك يفلت منا مرة بعد اخرى دون ان نجد دليلا واحدا يؤدى الى ادانته على الرغم من علمنا بانه من اكبر تجار الرقيق الابيض .. وفى ذات يوم جاءنى الالهام بالخطة التى يحسن بنا ان نتبعها فبسطتها للمدير العام فاقرها واخذ بها .. وفحواها ان يذكر المدير لتريلونى ان احد اعوان ولدستين قد تكلم ووشى بزعيمه .. فاذا كان تريلونى هو مصدر تسرب انباء الادارة الى الخارج ذهب بهذا النبأ حتما الى صاحبه ولدستين ظنا منه انه نبأ صادق .. وكان ولدستين موجودا فى باريس .. فى ذلك

الوقت . وقد افضى المدير بهذا الخبر لتريلونى وعقب عليه بأن البوليس سيراقب جميع الرسائل البرقية والبريدية . والمحادثات التليفونية التى تتبادل مع لندن حتى لا يتمكن أحد من انذار ولدستين بالخطر الذى يتهدده .. وان أحد رجالنا سيبرح لندن الى باريس صباح اليوم التالى للقبض على ولدستين .

ـ وما الذى حدث بعد ذلك ؟

ـ حدث ان استأجر تريلونى طيارة فى صباح اليوم التالى وطار الى باريس لينذر ولدستين بالخطر . . !

ـ لا تقل هذا . . !

ـ تلك هى الحقيقة .. وقد كنت انا والمدير نتوقع هذا فتبعناه فى طيارة اخرى طول الطريق حتى اذا دخل الفندق الذى ينزل فيه ولدستين وسمعناه يسأل عنه وضع المدير يده على كتفه .

ـ وبعد . ؟

ـ وبعد ! . فان لتريلونى اعصابا من حديد . ! حين رآنى انا و المدير حملق فينا للوهلة الاولى ثم ما لبث ان استرد ثباته فلم تختلج له عين بعد ذلك ! .. وقد ذهبنا الى غرفة خاصة وقال له المدير : « ان اللعبة قد انتهت » .. فسأله تريلونى قائلا : « اية لعبة . ؟ » فقال له المدير : « ما الذى جاء بك الى هذا الفندق . ؟ » فكان جوابه : « جئت لانفذ ما امرتنى به .. ! » فقال له المدير : « ولكنى لم آمرك بشىء ! »

وسكت مستر كوليس برهة ثم استرسل قائلا :

ـ وقد انبانى المدير فيما بعد بان تريلونى امتقع حين سمع هذه الجملة اما انا فلم الاحظ شيئا فى ذلك الوقت .. اما دفاع تريلونى عن نفسه فيتلخص فى أن المدير قد اتصل به تليفونيا فى ساعة مبكرة من صباح ذلك

اليوم وأمره بالسفر بالطيارة الى باريس فورا ليقبض على ولدستين اذ يخشى ان يقيم البوليس الفرنسي العراقيل في سبيل القبض عليه . فاذا ما طال الجدل اتصل الامر بولدستين وتسنى له الفرار .. فسألناه عما دفعه الى الذهاب الى الفندق مباشرة دون أن يتصل بادارة البوليس الفرنسي ليقدم اليها أوراقه ويطلب معونتها . فكان جوابه ان المدير هو الذي امره بذلك منعا لتضييع الوقت تفاديا من فرار اللص . وزعم ان المدير قال له : اقبض على ولدستين اولا ثم برر تصرفك امام البوليس الفرنسي بعد اعتقاله

ــ وبعد ذلك ؟

ــ وبعد ذلك لا شيء طبعا .. انتهت المسألة .

فقال سيمون تمبلار :

ــ اذا كان تريلوني مذنبا حقيقة، فلم يتقدم بهذا الدفاع الى الرجل الذي يعلم انه سيكون اول من يكذبه ؟ الم يكن يحسن به ان يلتمس دفاعا آخر بدل ان يسند هذا الحديث التليفوني الى المدير نفسه ؟

فقال مستر كوليس مجيبا :

ــ بل الواقع ان هذا هو خير دفاع كان يمكن أن يتقدم به حتى اذا كذبه المدير العام فيما يعزوه اليه كان جوابه : انها اذن تهمة مدبرة ملفقة .. ! هناك من حدثني باسمك مقلدا صوتك وأمرني بالسفر الى لندن ليوقعني في هذه التهمة .. ! وهذا كما ترى دفاع طيب . وقد نفعه فيما بعد حين فتحنا خزانته فوجدنا فيها رزمة من الاوراق المالية الجديدة امكن بفحص ارقامها تتبع مصدرها الى ولدستين نفسه .

ــ وكيف علل وجودها في خزانته ؟

ــ لم يجد تعليلا

ــ وما الذي تم بعد ذلك ؟

ــ قرر المدير أن لا يقدمه الى المحاكمة تحاشيا لاثارة فضيحة علنية من جهة ولاننا نعلم من جهة اخرى ان هذه الادلة لا تكفي لادانته اذ ليس ثمة ما يمنعه من ان يتناول مالا من ولدستين .. فقد كان ولدستين رجلا محترما شريفا في نظر الهيئة الاجتماعية لاننا لم نستطع حتى الان ان نجمع من الادلة ما يبيح لنا تقديمه للمحاكمة بتهمة الاتجار في الرقيق الابيض .. ولكن المدير مع هذا أمر تريلوني بالاستقالة وقد مات بعد اعتزاله منصبه بشهر واحد .

وتنهد مستر كوليس وقال :

ــ والحق أني اكره ان يذكرني احد بهذا الحادث وبالدور الذي لعبته فيه لاني اعتبر نفسي مسئولا عن موت تريلوني حتى ولو كان مرتشيا خائنا لواجباته .

فاطفأ تمبلار سيجارته في المنفضة وهو يقول :

ــ ومع ذلك فالامر لا يزال يبدو في نظري غريبا .. لم يكون ولدستين بالذات هو الطعم الصالح ؟ . ولم وقع ولدستين في الفخ بمثل هذه السهولة .وقد كان ينبغي أن يكون اشد حذرا وهو يعلم من امر نفسه ما يعلم .. ؟

فهز كوليس كتفيه واجابه بقوله :

ــ ان ولدستين رجل قد يصلح ان يكون طعما ملائما .. تاجر من أكبر تجار الرقيق الابيض ومن المحتمل ان يكون تريلوني على صلة به . ولم يكن هناك مفر على اي الاحوال من التجربة فاذا اخفقت هذه التجربة عمدنا الى طعم آخر ،لكنها افلحت كما ترى .. وكان طبيعيا ان يقع في الفخ بمثل هذه السهولة . لقد اعتاد ان يتناول رشاوى ضخمة من ولدستين ليتستر عليه

ويمده بالمعلومات عن حركات البوليس . فهل تراه كان حقيقيا بان يتخلى عنه ويتركه يقع فى ايدى العدالة فيحرم الرشاوى التى يتناولها ويعرض نفسه للفضيحة والمحاكمة اذا ماتكلم ولدسفين ووشى به . . ! وهكذا طار الى باريس لينذره بالخطر . ولم يكن يتوقع طبعا اى سوء ينزل به اذا كان يجهل ان هناك من يراقب حركاته .

ـ اله اعداء معينون ؟

ـ ليس اكثر مما لاى شرطى ناجح .

ـ الم تسمعه يذكر اسما معينا ؟

ففتل مستر كوليس شاربه وقال :

ـ كلا . . لست اذكر شيئا من هذا .

ـ ابين اعدائه رجل يدعى اللورد اسدين مثلا ؟

واصابت هذه الرمية هدفها فقطب وكيل ادارة الامن العام جبينه وقال :

ـ ما الذى جعلك تذكر هذا الاسم بالذات . . ؟

ـ لا شىء . . ! رميه من غير رام . . ! كانت جيل تريلونى وملائكتها فى طريقهم الى قصر اللورد اسدين حين قابلتهما للمرة الاولى . . لقد جرت العادة بان لا يظهر ملائكة العذاب الا لينقذوا مجرما من ايدى البوليس . اما فى هذه المرة ـ وهى اول مرة ـ فقد ظهروا « قبل » ان يقبض البوليس على احد . فكان فى هذا ما اثار انتباهى .

فقال مستر كوليس معترضا :

ـ كانوا هناك لكى يحموا داسون . انهم يعلمون طبعا ان الحيلولة دون القبض على داسون اهون بكثير من انقاذه بعد القبض عليه .

فاحنى القديس راسه قائلا :

ـ تعليل معقول . ولكنى اوثر ان لا اتقيد الآن باى

تفسير فقد يخطر لى فى المستقبل راى جديد .

وحين اوى القديس الى فراشه فى تلك الليلة كان لا يزال يفكر فيما راى وفيما سمع .

ـ يجوز ان تكون التهمة مدبرة ! . فاذا كانت ملفقة فان ملفقها بلا شك رجل نابغ داهية ! . اما اذا لم تكن ملفقة . . ثم ان جيل تريلونى لا يمكن ان تعتقد ان اباها مجرم مرتش حتى ولو كان كذلك . ولكن سواء ظلمته الهيئة الاجتماعية او لم تظلمه فان هذا لا يبرر تلك الجرائم التى تقبل عليها ابنته انتقاما لابيها .

فى خلال الشهور الخمسة الماضية اقدمت جيل على فعال منكرة اهاجت ضدها رجال البوليس . فما من مجرم خطير وقع فى ايدى العدالة الا سعى ملائكة العذاب الى انقاذه وعاونوه على الافلات من براثن القانون . . وزاد الموقف حرجا ان الصحف اخذت تحمل على البوليس حملات قاسية وتتهمه بالتهاون والتفريط اذ كيف يقبض على بعض المجرمين ثم لا يلبثون ان يفروا من بين ايديهم .

وهكذا وضعت جيل نفسها فى مأزق حرج واهاجت ضدها سخط رؤساء البوليس حتى ليتمنوا ان يقبضوا عليها باى ثمن .

واخيرا برز سيمون تمبلار الى الميدان ليجرب حظه فيما اخفق فيه رجال البوليس وقد اقسم ان يشتت شمل ملائكة العذاب وان ياتى بجيل تريلونى زعيمة العصابة مكبلة بالحديد .

كان تمبلار يفكر فى هذا وهو يتناول فطوره فى صباح اليوم التالى وفى ذلك اليوم شرب قهوته دون ان يمزجها باللبن اذ جرت العادة بان يترك البائع زجاجة اللبن على باب المسكن فى ساعة مبكرة من النهار فيأخذها الخادم

اذا ما استيقظ . ولكن القديس - على خلاف العادة - أمر في ذلك اليوم بارسال زجاجة اللبن الى المعمل الكيميائي لتحليلها فجاءت النتيجة مؤيدة الى ما ذهبت اليه ظنونه : كان اللبن ممزوجا بالزرنيخ .

وقال القديس يخاطب مستر وكيل ادارة الامن العام :

- لقد بدأت أجمع بعض الادلة ضد ملائكة العذاب . لقد بدأوا يظهرون نشاطهم .

فقال الوكيل متهكما :

- أتريد ان تقول أنهم لم يظهروا نشاطهم من قبل ؟ .

- نعم . كانت جرائمهم في البداية تافهة لا أهمية لها . الاعتداء على البوليس . او عرقلة أعمال البوليس . الآن فالتهمة هي الشروع في القتل .

فقال كوليس باسما :

- او القتل فعلا كما هو منتظر ! .

الفصل الرابع

لقد تكلم داسون .

وكانت صدفة سعيدة موفقة مكنت تمبلار من الاهتداء الى أثر هام من آثار ملائكة العذاب .

قبض البوليس على داسون لشبهات تافهة قامت حول تسكعه في بعض الطرقات فلما فتشوه وجدوه يحمل في محفظة من الجلد بعض الادوات التي تستعمل لاغتصاب الابواب .

وكان القديس في مخفر البوليس حينما جيء بداسون فحضر استجوابه .

وقال داسون مجيبا على اول سؤال وجه اليه :

- كنت أتسكع في الطريق في انتظار قدوم أحد أصدقائي . انى رجل شريف .

فصاح به المفتش الذى يتولى استجوابه قائلا :

- بل كنت رجلا شريفا ..

وأمر بزجه في السجن .

وبعد قليل قرع داسون الباب وطلب مقابلة المفتش ثانية لانه يريد ان « يتكلم » فرأى المفتش أن يخطر المفتش تيل بالامر حتى يحضر التحقيق ولكن تيل آثر أن يرسل سيمون تمبلار بدلا عنه .

وقال داسون :

- قلت لكم انى كنت انتظر صديقا .. وهذا كذب .. الحقيقة هي انى كنت انوى ان اقتحم قصر اللورد استندين .. ملائكة العذاب هم الذين عهدوا الى بهذه المهمة . ويمكنكم ان تجدوا الخطاب في غرفتي داخل الانجيل الموضوع على المنضدة .. طلبوا الى ان اقتحم القصر وان اسرق ما اشاء ووعدوا بأن يساعدونى على الفرار .. ولكنكم قبضتم على .. وأنا أعرف سبب وقوعى في ايديكم .. هناك من وشى بى .. هذا أمر لا شك فيه .. فهل لك ياسيدى ان تنبئنى باسم الواشى ؟

فاجابه القديس في صدق واخلاص :

- لا أعرف اسم الواشى .. ولكن من المحتمل انك ممن يتكلمون اثناء النوم فسمعك بعضهم ونقل الينا من أمرك ما تخفى .

وعثر البوليس في مسكن داسون على الخطاب الذى ذكره مخبأ في الانجيل .

أما القديس فاخذ كلام داسون قضية مسلما بها وجعل يراقب قصر اللورد استندين وما لبث ان رأى سيارة ملائكة العذاب مقبلة وفيها جيل واستيفن وبود الاحمر . فكانت

بينه وبينهم هذه المقابلة التى عرفها القراء وما تبعها من الحوادث ·

وعقب اطلاق المدفع الرشاش على مسكن تمبلار وتصميم اللبن ذهب لوبين الى مقابلة داسون مرة أخرى وقال له :

— اعلم ياداسون ان ليس هناك من وشى بك .. كل ما هنالك أنها معلومات سرية بلغتنا فاوقعتك سوء الحظ بين ايدينـــا .

فقال داسون :

— انى اصدقك يا مستر تمبلار ·· نعم انه هو الحظ السيء الذى اوقعنى ·· ولكن ارجوك ان تذكر ان اقوالى التى ادليت بها كانت ذات نفع كبير ·

— انى اذكر هذا ·· فهبنا افرجنا عنك · فهل تقبل عملا احب ان اعرضـه عليك ؟

فقال داسون فى شيء من الريبة :

— اى نوع من العمل ؟

فضحك القديس وقال :

— كلا .. كلا .. ليس العمل الذى خطر ببالك .

— اذن تكلم ياسيدى .. ما هو هذا العمل على اية حال ؟ .

— كم تطلب ثمنا لعين متورمة سوداء ؟

فحملق فيه داسون وقال :

— عفوا .. ماذا تقول يا سيدى ؟

— الم تسمعنى .. ؟

فازدرد الرجل ريقه وقال :

— سمعتك ولكنى لم افهم · ·

— انى اسالك عما تطلب ثمنا لعين متورمة سوداء ·

— اتريد ان تقول يا مستر تمبلار انك تنوى ان تلكمنى

لتحيل عينى سوداء متورمة .. ؟

— هو ذاك .. هذا هو غرضى .. وسانقدك خمسة جنيهات ·

— ولكن لماذا ·· ؟

— اتعرف كيف تتصل بملائكة العذاب ؟

فهز داسون رأسـه .. واستطرد القديس قائلا :

— هذا امر لا أهمية له ·· يكفى ان تطلق لسانك فى المجالس والحانات بأننى ضربتك وورمت لك عينيك ·· ولكن اياك أن تقول انى اعطيتك خمسـة جنيهات .. نعم · قل للعالم بأسره انى ضربتك لارغمك على الوشاية بملائكة العذاب ولكنك احتملت الضرب فى شجاعة وابيت ان تتكلم . ثم قل انك اقسمت ان تقتص انتقاما منى على ما انزلت بـك من لكمات .. ان ملائـكة العـذاب يكرمونني ·· وسيكونون سعداء حين يلقون رجلا مثلك اقسم ان يقتلنى ·· وفى هذه الحالة سيسعون اليك وسيضمونك اليهم ليزيد اعدائى واحدا · فاذا ما صرت منهم فاتصل بى وحدثنى بانبائهم ·

فقال داسون فى امتعاض :

— اتريد ان تجعلنى جاسوسا يامستر تمبلار .. ؟

— هذا هو ما أرمى اليه ·

فهز داسون رأسه فى شهامة وقال :

— مستر تمبلار ·· انى لا أرضى مطلقا بأن اكون جاسوسا فلم يعر القديس هذا الاعتراض اهمية واسترسل قائلا :

— وسانقدك عشرين جنيها عن كل خبر مهم تاتينى به .. فعليك ان تخطرنى اولا باول عن خطط ملائـكة العذاب وما ينوون ان يفعلوا ·

فاغمض داسون عينيه وقال في اباء :

— مستر تمبلار .. ان ضميرى لا يسمح لى بأن افعل شيئا من هذا

فقال تمبلار في بساطة :

— لا تنس ياعزيزى داسون أن في وسعى ان ازجك في السجن ستة شهور .

فاجفل داسون وقال :

— ان مبادىء لا تسمح لى بقبول هذه المهمة .. ان ضميرى ..

ولكنه حين وجد ان القديس لاينوى ان يرفع السعر الى اكثر من عشرين جنيها .. لانت مبادؤه وسمح ضميره !

ودبر القديس الامر بحيث يقدم داسون الى القاضي في صباح اليوم التالي دون ان تتقدم ادارة الامن العام بدليل واحد ضده فيصدر الامر بالافراج عنه حتما .

وفي طريق القديس الى ادارة الامن العام قال في نفسه :

— ان المدفع الرشاش فكرة بود الاحمر .. واللبن المسموم فكرة أستيفن .. فعلينا الان ان نترقب « فكرة » جيل تريلوني ومن الحكمة أن ابداها بالهجوم .

وامر السائق بأن يذهب به الى شارع بلجريف .

وحين دق الجرس فتح الخادم فريدريك ويلز الباب .. فلما رأى الزائر وعرفه هم باغلاقه في وجهه .. ولكن قدم القديس حالت دون ذلك .

وقال القديس باسما :

— لا تتعب نفسك يا ويلز .. دعنى اغلق الباب بدلا عنك .

واغلق الباب .. ولكن من الداخل .

وصاح فريدريك قائلا :

— ان مس تريلونى غير موجودة .

فقال تمبلار في بساطة :

— انك تكذب يا عزيزى فريدريك .

واخذ يصعد الدرج .

وما كان تمبلار يعرف على وجه التحقيق اذا كان ويلز صادقا او كاذبا . ولكنه اراد ان يجرب حظه على انه ما صعد بضع درجات حتى فتح باب قاعة الاستقبال في الطابق الاول وظهرت على عتبتها جيل تريلونى .. !

وقال لها القديس في جذل :

— مرحبا بك .

وقبل ان تتظاهر جيل بالجمود والهدوء لاحظ تمبلار ان عينيها ومضتا ببريق الغضب والحقد .

وقال القديس وهو يدخل القاعة :

— الجو بديع اليوم يا مس تريلونى .

فهزت جيل كتفيها وقالت :

— أجئت ثانية ؟ .

— اظن ذلك .. نعم .. سامكث لاتناول الشاى .. شكرا لك .. وارجوك ان تأمرى الخادم بأن لا يمزج الزرنيخ بالسكر فان من عادتى ان اشرب الشاى غير محلى .. ولا فائدة من مزجه باللبن لانى لااشرب اللبن يمكنك ان تأمريه بان يضع كل ما لديه من الزرنيخ في اناء الشاى ! .

وعبر القديس القاعة وجلس على مقعد وثير .. وبعد قليل من التفكير خلع قبعته .

وتبعته الفتاة وهى تقول :

— هل اعوانك في الخارج في هذه المرة ايضا ؟

— واية فائدة في توجيه هذا السؤال الى ؟ . قلت لك يوما أن اعوانى غير موجودين وكانوا حقيقة غير

موجودين . وقلت لك يوما انهم موجودون مع انهم كانوا غير موجودين . ؟ فلنفرض انى قلت لك الآن ان لا أعوان لى فى الخارج . فستفهمين من ذلك طبعا انهم موجودون . الا ترين انه أولى بك ان تخرجى لتستوثقى من الامر بنفسك . ؟

فهزت الفتاة كتفيها وتناولت سيجارة من الصندوق الموضوع على المنضدة . ثم قدمت اليه الصندوق قائلة :

ـ هل لك فى التدخين ؟ .

ـ محال ان أقبل منك سيجارة ايتها العزيزة .

ـ هل سمعتك تقول : « كلا .. شكرا لك » ؟ .

فاجابها القديس فى لهجة جدية :

ـ كلا .. انى لم أقل هذا .. فهل سمعتنى ؟

ونظرت اليه الفتاة من خلال سحب الدخان وقالت تسأله :

ـ ما الذى جاء بك ؟ أجئت للعمل ام للتسلية ؟ .

ـ لكليهما .. فايهما تريدين اولا ؟ .

ـ العمل من فضلك .

ـ اذن فاعلمى انى جئت لاسدى اليك خدمة جليلة .

ـ حقا ! .

ـ نعم حقا .. انى اصدقك القول فى هذه المرة .. أريد ان احذرك .. رجل اسمر سيعبر طريقك .. احذريه .. اسمه داسون .

وحين سمعت جيل هذا الاسم اختلجت عيناها اختلاجة خفيفة غير ملحوظة وقالت :

ـ ما شأنه .. ؟

ـ انه جاسوس للبوليس .. لقد استطعت ان اشترى ذمته .. نفحته مكافأة كبيرة لكى ينضم الى عصابتك ويمدنى بالمعلومات .. فمهما فعل .. فلا تضميه الى

عصابتك .

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ وهذه النصيحة خدعة اخرى من خدعاتك ؟

فتنهد القديس وقال :

ـ انها لكذلك .. بل انها لابدع خدعاتى .. انى آسف ياجيل اذ ستجدين نفسك حيالى فى ورطة تعقبها ورطة . فأولا أعوانى المبثوثون حول البيت .. وثانيا جاسوسى الذى سينضم الى عصابتك .. انى اعرف الآن ما يجول فى خاطرك .. انك تقولين فى نفسك : ان هذه الحكاية حقيقية وقد جاءنى بها القديس ليلقى فى روعى انها كاذبة فاقع فى الفخ واضم داسون الى عصابتى .. وربما قلت لنفسك : كلا .. ان هذه الحكاية كاذبة وقد جاءنى بها القديس ليقنعنى بانها صادقة حتى لا أضم الى عصابتى رجلا يحقد عليه أشد الحقد .. ان هذه الخدعة الجديدة ذات وجهين متباينين كما ترين .. وانى اعتقد ان ذكاءك لن يعينك على الوصول الى الحقيقة .

ونفضت الفتاة رماد سيجارتها قائلة :

ـ أمن اجل هذا جئت تزورونى ؟ .

ـ بل جئت لاوجه اليك سؤالا واحدا .. عن ابيك .

فحدجته الفتاة بنظرة ثابتة وقالت فى وحشية :

ـ الم انبه عليك بان تدع ابى وشأنه ؟ .

فقال تمبلار فى هدوء :

ـ وانا .. الم لك بانى لن ادعه وشأنه ؟ . والآن اصغى الى .. لقد درست مسألة ابيك والاشخاص الذين كانوا متصلين بها .. وهناك شخص يهمنى ان اعرف عنه شيئا .. وهذا الشخص هو ولدستين .

فضاقت عينا الفتاة والتمعتا . فقال القديس :

ـ لقد ظننت انك مهتمة بولدستين وانك تريدين ان

تنتقمي منه .. فهل اصبت في ظنوني ؟ »

فأحنت جيل رأسها في بطء وقالت :

ـ لقد اصبت يا سيمون ! ..

فقال القديس :

ـ يسرني أن اسمع منك ذلك . ان اهتمامك بولدستين خير الف مرة من تلك الاعمال الصبيانية التي تقومين بها .. اذا كانت التهمة لفقت ضد أبيك فسيكون ولدستين أعلم الناس بالحقيقة .. اهتمي بولدستين ينحل اللغز المبهم .. ولكن اعدلي عن هذه الاعمال التي تقومين بها الان اذ لن تجني من ورائها الا اثارة البوليس ضدك .

فاومأت باصبعها الى كومة الصحف الموضوعة على المنضدة وقالت :

ـ اقرأت الصحف ؟

ـ نعم .. ولا حديث لها الا الطعن في كفاءة البوليس . ولكن يظهر أن الصحافيين لم يعرفوا بعد اني صرت شرطيا .. والا لادركوا ان كفاءة البوليس قد صارت فوق النقد !

فقالت الفتاة في صوت عميق النبرات :

ـ سأثير الدنيا ضد البوليس .. حملات الصحف على البوليس تشيع في نفسي الرضاء وتهدىء نزعة الانتقام التي يجيش بها صدري .

فقال القديس باسما :

ـ وهذه الحملات ترضينا نحن ايضا لاننا نعرف متى نقفها .. وستحين الساعة قريبا .. سأحضر لزيارتك مرة اخرى .. ولكني سأخطرك برسالة حتى اتيح لك فرصة للخروج قبل حضوري .

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ ربما كنت اذ ذاك في حالة لا تمكنني من الحضور مرة

أخرى . فاولى بك ان تقتصد ثمن طابع البريد !

فنهض القديس واقفا وهو يقول :

ـ لا تهتمي بذلك .. انى رجل مسرف .

ثم مشى الى الباب وقبل ان يجتاز العتبة التفت اليها قائلا :

ـ هل سيكون خروجي في هذه المرة مصحوبا بالمتاعب ؟

ـ كلا .. ليس في هذه المرة !

فابتسم قائلا :

ـ اذن فهناك تدبير اخر .. المدافع الرشاشة لم تنفع .. واللبن المسموم لم ينفع .. فليت شعري ما الذي تخبئه لي الاقدار .. ؟ اني ارتعد رعبا !

ـ انك لن ترتعد طويلا !

ـ شكرا لك .. والى اللقاء !

فكان جوابها ان قالت :

ـ بل وداعا !

وعندما غادر تمبلار البيت تنهد وهو يقول في نفسه :

ـ يا لها من امرأة ! سيمون تمبلار بين الرجال .. وجيل تربلوني بين النساء !

وتنهد مرة أخرى .

الفصل الخامس

بعد يومين اختلف سيمون تمبلار الى حانة حقيرة في حي اولوجيت وقد ادخل على هيئته من التنكر ما يخفى شخصيته عمن يعرفونه

وكان داسون في انتظاره في الحانة فشاطره مائدته وبادره بقوله :

ـ هل اتصلوا بك ثانية ؟

فاحنى داسون رأسه ٠

وكانت عينه اليمنى لا تزال متورمة منتفخة من اثر اللكمة وان كانت الجنيهات الخمسة تبددت وذابت مما جعل داسون يعتقد أن الثمن الملائم ماكان ينبغى أن ينقص عن عشرة جنيهات . ولكن لم يكن هنا لمجال الآن للمساومة من جديد ٠

وقال داسون :

ـ لقد ارسلوا الى بالامس فلما ذهبت اليهم رحبوا بى اشد الترحيب ٠

ـ وهل نجحت فى مهمتك ؟

ـ لقد ضمونى اليهم فعلا .

ـ وما وراءك من الانباء ؟

ـ لقد عرفت انهم ٠٠

وأخذ داسون يسرد على القديس ما عرفه من انباء ملائكة العذاب ٠٠ ولم يكن فيما قال شىء جديد يجهله القديس ولهذا لم ينقده العشرين جنيها وانما نقده جنيها واحدا على الرغم من احتجاج داسون ٠

وحين ذهب تمبلار الى ادارة الامن العام تلقاه الوكيل بقوله: لقد نشط ملائكة العذاب الى العمل فى الوقت الذى غفلت انت فيه عن مراقبتهم ٠٠ لقد ضرب اللورد اسنفين فى الليلة الماضية ٠

ـ ضربا شديدا ؟

ـ كلا ٠٠ كان الخدم لا يزالون فى الدار ٠ فلما صرخ مستنجدا خفوا اليه مسرعين ٠ ولكن المعتدى تمكن من الفرار ٠٠ حين صعد اللورد اسنفين الى مخدعه فى الساعة الحادية عشرة لقى رجلا هناك ٠ ولم يسع الرجل الى الهرب وانما انقض على الفور وحاول أن يضربه بهراوة ضخمة ٠

ـ وهل عرفتم المعتدى ؟

ـ كلا ٠٠ ولكنى اعتقد انه صاحبك داسون ٠٠ وقد اصدرت امرا بالقبض عليه ٠

فقال القديس فى بساطة :

ـ يمكنك ان تسحب هذا الامر ٠٠ ان داسون لم يستعمل هراوة فى حياته ٠٠ وفضلا عن ذلك فانى اعرف عن يقين انه ليس المعتدى ٠

ـ اظنه هو الذى انبأك بذلك ؟

ـ انه لم ينبئنى بشىء ٠٠ ولهذا اصدقه ٠٠ الديك قائمة بالمشبوهين ؟

ـ نعم ٠٠

وقدم مستر كوليس قائمة المشبوهين الى تمبلار فالقى عليها نظرة فاحصة ثم قال :

ـ ان رجلنا المنشود هو هارى دونيل ٠

فقال مستر كوليس معترضا :

ـ ولكن هارى دونيل ليس من الطراز الذى يقدم على مثل هذه السرقات البسيطة ٠٠

ـ ومن انبأك انها سرقة بسيطة ٠٠ ؟ قلت لك ان هارى دونيل هو الرجل المنشود ٠٠ انه هو الذى اعتدى على اللورد اسنادين ٠ انى ذاهب للقبض عليه ٠٠ وساخطر جيل تريلونى بالامر قبل ذهابى ٠٠ سأذهب اليها الآن توا ٠ وأغلب ظنى انها ستحاول هذه المرة ان تجهز على اجهازا نهائيا ٠٠ فاذا اخفقت فستتصل تلفونيا منها بدونيل فى برمنتجهام لتنذره بالخطر الذى يتهدده ٠ فنبه على ادارة التليفون من فضلك بان ترد عليها بان الخط التليفونى الى برمنتجهام معطل ٠٠ ولكن هذه العقبات لن تقعد جيل ولن تجعلها تتخلى عن صاحبها دونيل ٠٠ وفى

هذه الحالة لابد لها من ان تسافر الى برمنتجهام بنفسها لتنقذ دونيل ولتحول دون القاء القبض عليه .. ان ملائكة العذاب لا يفرطون في شهرتهم لا سيما ان دونيل انما ضرب اللورد استدين تلبية لرغبتها .

واخذ تمبلار يبسط خطته في ايضاح وتفصيل ومستر كوليس يصغي اليه في اهتمام .

لم يكن لدى ادارة الامن العام حتى الان دليل ضد جيل تريلوني . كل ما في الامر شبهات وقرائن لو انها قدمت بها الى المحاكمة لصدر الامر بالافراج عنها فورا .. وكان تمبلار بخطته هذه يرمي الى دفعها الى موقف يقبض عليها فيه وهي متلبسة بالتهمة .. متلبسة بتهريب مجرم مطلوب وعرقلة عمل البوليس .

سيذهب تمبلار الى برمنتجهام ليقبض على هاري دونيل .. فتضطر جيل تريلوني الى الذهاب ايضا الى برمنتجهام لانقاذ دونيل فيكون هذا اكبر دليل ضدها لان القديس سيكون متهيأ للقائها .

ولم يكن القديس في الواقع يحقد على الفتاة على الرغم من أن عصابتها حاولت أن تغتاله مرتين . بل كان على العكس يلذ له ان يزداد تعرفا اليها . وما قابلها مرة الا لبثت ذكريات اقتبلة تتردد في ذهنه وقتا غير قصير .

وعندما غادر تمبلار ادارة الامن العام ذهب من فوره الى شارع بلجريف .

وللمرة الاولى فطن الى انه يمضي في هذا الشارع اغلب ايامه .. فهذه ثالث زيارة يقوم بها في أسبوع واحد .

ولبث تمبلار برهة طويلة عند الباب قبل أن يفتح لاستقباله .. وكان يتوقع ان تسفر هذه الزيارة عن حادث

جلل وانها لن تنتهي بمثل السلامة التي انتهت بها الزيارتان السابقتان .

واستقبله الخادم ويلز بقوله :

ـ ان مس تريلوني في انتظارك يا سيدي .

فابتسم القديس وقال له :

ـ اذن فهي موجودة .. ؟ يظهر انك بدأت تتعلم الصدق يا ويلز .

واخذ يصعد السلم فتلقته الفتاة عند رأسه قائلة :

ـ لقد وصلتني رسالتك التي تنبئني فيها بانك ستحضر .

ـ وطبعا أدهشك الامر .. ؟

وعبر القديس فلحقت به الفتاة قائلة في عذوبة :

ـ أتنوي أن تبقى لتناول الشاي مرة أخرى .. ؟

ـ عندما تسمعين حديثي ستتمنين ان أبقى اسبوعا كاملا .

ـ اجلس من فضلك .

ـ شكرا .. كنت انوي أن اجلس من تلقاء نفسي .

وكان استيفن ويلد وبود الاحمر في قاعة الاستقبال فقال لهما :

كيف حالك يا ويلد .. ؟ هل أنت ايضا تهتم بولدستين وتبحث عنه كما تبحث عن جيل .

فامتقع وجه استيفن ولم يقل شيئا . وارسل القديس بصره الى بود وقال :

ـ ألم تتلاكم مرة أخرى يا احمر .. ؟ لقد سمعت أن رجلا ضرب طفلا بالامس فظننت انك الضارب .. !

فصاح بود متوعدا :

ـ احذر لنفسك يا تمبلار . !

ـ شكرا على هذه النصيحة .

وسمع الباب خلفه يقفل فدار على عقبيه لينظر الى

الفتاة موليا ظهره نحو الرجلين .. وكانت هذه الحركة منه غلطة سخيفة .. ولكنه لم يكن يتوقع ان تتطور الحوادث بمثل هذه السرعة .. كان يظن ان ملائكة العذاب سيفسحون له بعض الوقت ولكنه اخطأ في هذا الظن اذ شعر حينما استدار بفوهة مسدس ملصقة بظهره .

ولكنه تظاهر بانه لم يشعر بشيء وقال يخاطب جيل :

ــ ان لدى أنباء تهمك يا جيل .

والتمعت عيناه تهكما واستخفافا فقالت له الفتاة ساخرة :

ــ ألا زلت تنوى ان تكاشفني بهذه الانباء .. ؟

ــ طبعا .. وهل د شيء يدعوني الى الكتمان .. ؟

فتكلم استيف ويلد من خلفه قائلا :

ــ تكلم ياتمبلار اننا مصغون اليك .. ولكن اياك أن تتحرك فجأة والا ضغط اصبعي الزناد .

وتحول القديس الى استيفن في بطء ونظر الى المسدس الذي في يده قائلا :

ــ جهاز لكتم الدوى .. ! حقا ان العلم مفيد .. !

ثم عاد ينظر الى جيل تريلوني وقال :

ــ اتعرفين يا جيل رجلا يدعى هارى دونيل .. ؟

ــ معرفة جيدة .

ــ يحسن بك اذن ان تتصلى به تليفونيا وتودعيه وداعا أبديا .

سيرسل الى سجن دار تمور ليقضى فيها بقية العمر

فضحكت الفتاة وقالت :

ــ لقد مر عامان والبوليس يحاول ان يقبض على هارى دونيل ليرسله الى دارتمور ولكن دون ان يجد سبيلا الى ذلك .

فقال تمبلار في لهجة تدل على التواضع :

ــ هذا جائز .. ولكن ليس بوليس برمنجهام هو الذى يهتم بدونيل في هذه المرة .

ــ ومنذا الذى يهتم به اذن .. ؟

فانحنى القديس على طريقة امثلين وقال :

ــ انا ياسيدتي .. !

فضحك بود الاحمر قائلا :

ــ ياله من مغرور !

فقال القديس مرددا :

ــ نعم .. انى مغرور !

وقالت الفتاة

ــ وكيف تنوى أن تذهب الى برمنتجهام ؟

ــ بالقطار .

ــ بعد أن تغادر هذا البيت طبعا ؟

ــ نعم .

فقال استيفن ويلد :

ــ وهل تعتقد انك ستغادر هذا البيت ؟

ــ طبعا .. ان داسون صديقي . الم اقل لكم انه جاسوس ضممته الى عصابتكم .. ؟ انه لن يتخلى عنى اذن .. وسينقذني من بين ايديكم .

ومشت جيل الى الباب ففتحته وكان داسون واقفا في الردهة فقالت له :

ــ هذا هو صديقك سيمون تمبلار .

فهتف القديس قائلا :

ــ مرحبا بك يا داسون كيف حال عينك المتورمة ؟

فدخل داسون الى القاعة وهو صامت لا يتكلم فقال له استيفن :

ــ فتشه ياداسون

وقام داسون بمهمة التفتيش على خير الوجوه ولم يحاول تمبلار أن يقاوم اذ كان يعلم ان المقاومة معناها الانتحار ٠

وصاح ستيفن قائلا :

ـ اجلس ٠

فجلس القديس على الفور ٠

وتناولت جيل تريلوني سماعة التليفون وطلبت الاتصال ببرمنجهام وكان القديس يرقبها ، وكان يعلم أن هذا الاتصال لن يتم لان ادارة الامن العام اصدرت تعليماتها بأن يقال ان الخط معطل ولكنه تظاهر بالاستغراب وقال لها :

ـ هل الخط معطل ؟ هذا شيء يؤسف له ٠ اذن فانت مضطرة الى الذهاب الى برمنجهام بنفسك ، ويؤلمني أن اكون فى سببا فى تكبدك هذه المشقة ٠

وقال استيفن يخاطب جيل :

ـ انتوين حقا ان تذهبى الى برمنجهام ٠ ؟

ـ تلك هى الطريقة الوحيدة اذ ليس من الحكمة ان نرسل برقية الى دونيل ٠

ـ ولكن الا يجوز ان تكون هذه القصة كلها شركا منصوبا . ؟

ـ هذا جائز .. فتمبلار رجل ذكي وليس لحيله حد معلوم .. ولكنى اعتقد انى قد خبرت الآن اساليبه وطرائقه ٠٠ هذه الحكاية الجديدة ليست فى الواقع الا تكريرا لحكاية أعوانه المنبثين فى الخارج ٠٠ جاءنا ينبئنا بأنه ذاهب للقبض على هادى دونيل ظنا منه بأننا لن نصدقه ٠٠ ولكنه ان قبض على دونيل تكلم ووشى بنا ٠٠ ولست احب هذا طبعا ٠٠ انى ذاهبة الى برمنجهام وسيرافقنى بود

فقال استيفن :

ـ بل ساصحبك أنا ٠

وأتى بود الاحمر بحبل واوثق قيادتمبلار ٠

واقتربت الفتاة من القديس وقالت :

ـ ايسرك أن تعلم انى سأصدقك هذه المرة ٠ ؟

ـ نعم ٠٠ وشكرا ٠٠ وارجو لك رحلة طيبة ٠٠ غير انى اوصيك بأن تعهدى الى داسون بحر استى حتى يحل وثاقى لانى أعلم انه يحبنى ولا يرضى لى هذه القيود ٠

فقالت الفتاة :

ـ وسيكون بود أشد حبا لك من داسون .

ونظر اليها القديس برهة ثم قال :

ـ اسمعى ياجيل ٠ انك ذاهبة الان الى برمنجهام ٠ ولكنك ستندمين على ذهابك ٠٠ ان المتاعب تنتظرك هناك ٠٠ ان عطفى عليك يحملنى على أن انصحك بالبقاء ٠

فابتسمت الفتاة فى تهكم قائلة :

ـ انى أشكر لك هذا العطف ٠

ـ ونصيحتى الثانية هى أن تأخذى بود الاحمر معك فان استيفن ويلد رخو لا ينفع فى الشدائد ٠

فصاح استيفن يقول فى غضب :

ـ ماذا تقول ٠ ؟

ـ أقول ان استيفن ويلد رخو لا ينفع فى الشدائد ٠٠ ألديك اعتراض على هذا ؟

فدنا منه استيفن وهو يقول :

ـ نعم ٠٠ لدى هذا ٠

ولكمه فى وجهه ثلاث مرات ٠

فقال القديس فى هدوء :

- يظهر يا عزيزى انك تستعمل دواء مقويا !
فأخذت الفتاة بذراع استيفن وهى تقول :
- دعه يا استيفن وانتنى بمعطفى .
والتفتت الى بود وداسون وقالت :
- اما انتما فاذهبا بتمبلار الى القبو .
- وهل تنوين أن تتركيني أموت جوعا فى القبو ؟
فاجابته فى برود قائلة :
- ستحدثك بما أنوى عندما أعود
فكان جوابه أن قال فى تهكم :
- هذا اذا عدت !

الفصل السادس

ألقى سيمون تمبلار على الارض فى القبو وهو مشدود الوثاق فتركه حارساه وخرجا فتمنى لو انهما أبطآ فى العودة اليه حتى يعالج قيوده بما يعرف من حيل وخدع عله يستطيع أن يتخلص منها . ولكنهما ما لبثا أن رجعا يحملان منضدة صغيرة ومقعدين فوضعاها وسط الغرفة وأغلقا الباب وجلسا .

وأخرج بود الاحمر من جيبه رزمة من أوراق اللعب بسطها على المائدة وشرعا يلعبان .

وأخذ تمبلار يمتحن قيوده فى حذر حتى لا يلفت اليه الانظار فألفاها قوية متينة لا سبيل الى التخلص منها فلم يكن هناك بد من أن ينتظر المعونة من صاحبه داسون . فأرسل بصره اليه فوجده منهمكا فى اللعب لا يلقى بالا نحوه . ولكن بعد برهة قصيرة لمح فى عينيه نظرة خاطفة .

وأشاعت هذه النظرة الخاطفة الامل فى نفسه

واستمر اللعب نحو ربع ساعة ثم مسح داسون فمه بكمه وهو يقول :
- انى أكاد أموت ظمأ .
فقال بود مزمجرا :
- وأنا أيضا . . أنتظر ريثما آتى بقدح من الشراب .
- اسرع اذن .
- وافتح أنت عينيك على تمبلار حتى أعود .
- كن مطمئنا .
وغادر بود القبو وأخذ وقع أقدامه يخفت شيئا فشيئا حتى تلاشى .
ووثب داسون فجأة فاذا هو الى جانب تمبلار فقال له هذا :
- الكلام الآن لا فائدة فيه .. افعل شيئا مجديا .
- واذا رجع بود الاحمر .. ؟
وقد نطق بهذه الجملة وهو يخرج من جيبه مدية صغيرة فقال له القديس :
- انى الضمين بأن لن يصيبك سوء .
فأخذ داسون يقطع الحبال وهو يقول :
- لا تتخل عنى يا مستر تمبلار
- كن مطمئنا .
وسقطت الحبال على الارض متمزقة فى الوقت الذى رجع فيه بود الى القبو فحملق فى المنظر الذى أمامه قائلا :
- اذن فهذه هى المسألة ؟
فأجابه القديس فى عذوبة .
- نعم . هذه هى المسألة . أما المسألة الثانية فهى العراك الذى سيدور بيننا .
ورفع داسون مديته مستعدا للنضال ولكن القديس

بادره بقوله :

ـ ضعها فى جيبك يا داسون .. انها معركة ، نباتية ، لن تقدم فيها اللحوم .

واستدار بود نحو الباب وهم بأن يغلقه من الخارج ولكن القديس لحق به واستطاع أن يفتح الباب قبل أن يدور المفتاح فى ثقب القفل فأمسك بذراع بود ولواها فصرخ متوجعا . وتناول القديس المفتاح

ودسه فى جيبه ثم خلع جاكتته وهو يقول :

ـ الآن تبدأ الجولة الأولى .. والأخيرة .

ولكنها لم تكن جولة واحدة .. لأن بود الأحمر كان فيما مضى من أبطال الملاكمة فكان خبيرا بأساليب النضال وفى لكماته قوة هائلة لو أنها سددت على الوجه الأكمل وأصابت هدفها لأفقدت خصمه فاقد الوعى ولكن القديس كان يمتاز بخفة الحركة والقدرة على المراوغة فاذا ما جاءته الضربة جارفة كأنها صخرة تهبط من رأس جبل مال برأسه يمينا .. أو يسارا .. وتفاداها .

أما ضرباته هو فكان يعدل لها حسابا دقيقا وقلما خابت احداها فبعد بضع جولات سقط بود على الأرض وأنفه تدمى وعيناه زائغتان وهو لا يرى ولا يسمع ولا يفهم شيئا مما حوله .

وتناول القديس جاكتته وهو يقول :

ـ هيا بنا يا داسون والا فاتنا القطار .

ولكنه حين تلفت وجدان داسون كان قد اختفى .!

فهز القديس كتفيه وغادر القبو وأغلق الباب من الخارج .

ووصلت به السيارة الى المحطة فى الوقت الذى بدأ فيه القطار يتحرك للسير . ولم تكن فى الوقت فسحة لابتياع التذكرة ولكن مثل هذه العقبة ماكانت لتعوقه عن تنفيذ

خطته .. فحين مد اليه عامل الباب يده ليتناول منه التذكرة . مد اليه تمبلار يده بدوره ولكن ليزيحه عن طريقه .. وانطلق يجرى صوب القطار وفى أثره عشرات من الحمالين والموظفين يريدون اللحاق به . ولكنهم عجزوا عن اللحاق به لأنه كان قد تعلق بالقطار فأخذ ينهب به الأرض نهبا الى مدينة برمنتجهام .

وطاف تمبلار بالقطار يتفحص الوجوه بحثا عن جيل تريلونى وصاحبها استيفن ويلد .

وبينما كان يجتاز الممشى لمح استيفن يسير أمامه فأسرع اليه من الخلف واصطدم به صدمة عنيفة فدار استيفن على عقبيه وهو يصيح محتجا :

ـ تبا لك .. ! هل أنت ..

وماتت الكلمات على شفتيه حين رأى القديس فقال هذا مكملا الجملة :

ـ أعمى . !

ثم ابتسم واسترسل قائلا :

ـ رحلة بديعة .. اننا ذاهبون جميعا الى برمنتجهام .. !

ثم تركه ودخل الى أقرب مقصورة فارتمى على المقعد واشعل سيجارة وأخذ يدخن فى التذاذ واضح .

وتابعه استيفن بنظراته برهة ثم انصرف ذاهبا الى صاحبته جيل

وحين رأت شحوب لونه وذبح نظراته قالت تسأله فى لهفة :

ـ ماذا بك ؟

فأخذ بيدها وقادها الى قاعة الطعام الخالية فجلسا الى المائدة وطلبا شايا . فعادت رأيته بنفسى . !

ـ تكلم .. ماذا جرى ؟

ـ القديس في القطار . ! لقد رأيته بنفسي . !

فحدجته بنظرة فاحصة قائلة :

ـ القديس .. ! انك تهذى .. !

فهز رأسه نفيا واشعل سيجارة .. وايقنت حين رأت ارتعاد يده وهو ممسك بعود الثقاب انه لم يكن يهذى .

قلت لك اني رأيته بنفسي .. وتكلم معي .. انه في المقصورة الرابعة . لست أدرى كيف هرب .. ولكنه هرب على أى الاحوال .

فضاقت عينا الفتاة وقالت :

ـ ان داسون هو الذى انقذه بلا شك .. حقا ان تمبلار رجل ذكي .. ! اكنت موجودا حين حذرني من داسون .. ! لقد نشتاه بمزح وهذا هو ما كان يرمى اليه تمبلار حتى نطمئن الى داسون تمام الاطمئنان .

ـ ولكن اين كان برد الاحمر .. ؟

ـ ان برد غبي ابله .

وساد الصمت برهة ثم قال استيفن :

ـ ولكن لماذا يهتم القديس بهذه المسألة ؟

ـ وهل يعرف انسان لماذا يهتم القديس بمسألة ما .؟ الم تقرأ في الصحف انهم عفوا عنه مكافأة له على انقاذه ولى عهد بافاريا من قنابل الفوضويين .

ـ ولكن ما الذى ينبغى أن نصنع الآن . ؟

ـ انتظر لحظة .

واسندت رأسها الى الوسادة واغمضت عينيها . وبعد برهة تكلمت قائلة :

ـ سنستمر في طريقنا طبعا .

ـ ولكن القديس . ؟ انه في القطار .!

ـ ان القديس يريد أن يخيفنا حتى نعدل عن الذهاب الى هارى دونيل ولكننا لن نعدل .. ولا تنسى انه قد

يكون في وسعنا أن نتخلص منه عند دونيل .. اما هنا .. في القطار .. فمستحيل .

ـ ولكن اعوانه سيكونون في انتظاره عند دونيل .

فضحكت .. وكانت ضحكتها خشنة قاسية . وقالت :

ـ ان حكاية الاعوان خدعة اخرى من خدعات القديس . ان تمبلار مغرور بنفسه فهو لن يستعين باحد . الم تفطن الى انه يغتبط أشد الاغتباط حين يقع في الفخاخ المنصوبة ليثبت ان في وسعه ان يفلت منها . ؟ انه رجل يحب المتاعب والمجازفات .. ولكنه في هذه المرة لن يفلت .. اذا كان لديك رأى آخر فحدثني به .

ولكن استيفن ويلد لم يحدثها بشيء اذ كان رأيه الى جانب رأيها : فجا ضعيفا لا وزن له .

وتابع القطار سيره واستيفن لا يزال يرتعد وهو لا يجرؤ على أن ينظر الى جيل خشية أن ترى ضعفه واضطرابه . اما هى فكانت على النقيض ثابتة الاعصاب هادئة الوجه لا تبالى بشيء كأنما لا يحمل القطار على قيد خطوات منها اكبر عدو لها .

وتكلمت جيل فجاة فقالت :

ـ ان ملائكة العذاب لا يتراجعون .

فقال استيفن في صوت ينم عن الخوف :

ـ اتقولين هذا بعد ما حدث ؟

فاجابته هازئة :

ـ يمكنك أن ترجع الى لندن ما دمت خائفا .. اما انا فسأذهب وحدى .. انى اشاطرك رأيك في وجوب الحذر .. ولكن الحذر ليس معناه التراجع .. انى لست ممن يتراجعون .

فقال استيفن في غضب :

ـ ولا انا .. !

ولكن عينيها ظلتا ترمبانه بنظرة استخفاف وازدراء وكان يعلم انها لا تصدق ما يقول ·

وذكرت جيل عند هذا ما قاله القديس عن استيفن حين وصفه بانه رخو لا ينفع ·· وابتسمت ·· كان القديس مصيبا في هذا الرأي ·

نعم · كان استيفن ويلد رخو لا ينفع · والدليل على ذلك أن يده ترتعد بشدة الى درجة انسكب معها الشاي على مفرش المائدة !

الفصـــل السابع

يقطن هاري دونيل بيتا يقوم في ضواحي برمنتجهام وكان دونيل يفخر دائما بانه جعل من بيته حصنا لا سبيل الى اقتحامه · فلو ان رجال الشرطة حاولوا الدخول اليه قسرا لردهم على اعقابهم مدحورين مقتولين ·

كان البيت خاليا من كل ناحية فلا سبيل الى الوثوب اليه من اسطح البيوت المجاورة ·وكان بابه في صدر ممر طويل يقع بين جدارين · مرتفعين فلو أن شخصا سار الى البيت لكشفه من في البيت ولكان هدفا لرصاص المسدسات وهو يجتاز الممر ·

وكان دونيل في داره حينما وصلت جيل تريلوني وفي رفقتها استيفن ويلد ·

وقالت جيل تخاطب اللص الشهير :

ـ ان سيمون تمبلار في اثرك ·

فظل دونيل صامتا فترة من الوقت ثم قال :

ـ اقلت سيمون تمبلار ؟

ـ نعم ·

فكشر دونيل عن انيابه بالطريقة التي يسميها ابتسامة وقال :

ـ لقد قابلته مرة واحدة ·

فقالت الفتاة في اقتضاب : ويلوح انك ستقابله مرة أخرى ·

وأخرج دونيل غليونه وحشاه بالتبغ وهو يقول :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ ان القديس يريد أن يقبض عليك بسبب ضريك اللورد استدين ·· لقد جاءني يخطرني بانه حاضر اليك فقبضنا عليه وشددنا وثاقه وتركناه في القبو ·· ولكنه تمكن من الافلات .. وقد رآه استيفن في القطار .. واكبر ظني انه الان غير بعيد عنا ·· انه يعلم اني قادمة اليك لانذرك بالخطر ·· وهو يريد ان يقبض علي أنا ايضا ·

فنقل دونيل عينيه بينها وبين استيفن ثم قال :

ـ أهذه مزحة مبتكرة .. ؟

ولكن وجه استيفن المتقع أكد له ان ليس في الامر شيء من المزاح وتحول الى الفتاة قائلا في خشونة :

ـ لماذا لم تتصلي بي تليفونيا ·· ؟ اتظنين أن التليفونات اخترعت للزينة ·· ؟

فنظرت اليه جيل في برود دون أن تجيب حتى اضطر أن يرخي بصره أمام نظراتها النافذة · ثم قالت :

ـ كان الخط معطلا · وارجوك أن لا تخاطبني بهذه اللهجة ·· اني لا أحبها ·

فتمتم دونيل قائلا :

ـ معذرة اذن ·

فاجابته الفتاة في اقتضاب :

ـ انس ما حدث ·· ان امامنا ثلاث او اربع دقائق حتى

يحضر تمبلار ، فعلينا ان نتدبر الامر فى خلال هذه الفترة الوجيزة ، انى أحب ان نرحب به ، انه سيحضر وحده فانى على يقين من هذا ،

وتكلم دونيل فقال :

ــ ان أعوانى الموجودين فى البيت الان لا يقلون عن ستة ،

ــ أفى وسعك أن تمنعه من الدخول ؟

فضحك دونيل وقال فى زهو وخيلاء :

ــ انى فى وسعى أن امنع جيشا .

ــ ولكني لا أريد منك الا أن تمنع القديس ، فهل تستطيع ٠٠ ؟

ــ الم ترى هذا البيت ؟ انه حصن حصين ٠٠ تعالى معى لأفرجك عليه ،

ــ سأفرج بنفسى فاهتم انت بما هو اهم من ذلك ،

ونهضت واثقة وغادرت الغرفة وهى تقول :

ــ قدم الى ويلد قدحا من الشراب ، انى اعتقد انه فى حاجة اليه ٠ !

وحمل دونيل الى استيفن زجاجة من خمر وكاسا فشرب المسكين كاسين دفعة واحدة ثم قال :

ــ اتعتقد يا دونيل ان المسالة مجرد مزاح ٠؟

ــ هذا هو رايى ،

فهز استيفن راسه وقال فى لهجة متلعثمة اثرت فيها الخمر والخوف :

ــ اخشى ان لا يكون فى الامر مزاح ، لو انهم قبضوا عليك لاخذوك بتهمة الضرب فيمكن أن تؤاخذ بما هو اشد

والنكى ،

ثم قال متوسلا :

ــ دونيل .. انقذنا من هذا .. انقذنا .. !

فقطب دونيل جبينه وقال :

ــ انقذكم ، ! وأنا ٠٠ ؟ ماذا تعنى ؟

فضم استيفن يديه متضرعا وقال :

ــ يجب أن اهرب يا دونيل ٠٠ يجب أن اهرب انا والفتاة ٠٠ اليس فى هذا البيت منفذ سرى ، ! ان معى مالا فخذ ما شئت ولكنى دعنى أخرج بسلام ٠

فحدجه دونيل بنظرة ثابتة ثم صب له قدحا من الخمر قدمه اليه وهو يقول :

ــ كم تدفع ؟

فأخرج ستيفن محفظة نقوده المتورمة وهو يقول :

ــ الف جنيه ،

ــ دعنى أرها ،

فأخرج ستيفن أوراق البنكنوت من محفظته واخذ يعدها ثم سلمها الى دونيل فعدها بدوره ودسها فى جيبه وعلى وجهه امارات الارتياح وهو يقول :

ــ ان فى هذا الدولاب بابا سريا .. حرك هذا اللوح ينفتح الباب السرى .. ستجد امامك سلما فاهبط عليه وسر فى الممر الذى يقع تحت الارض حتى تجد نفسك فى بيت له باب فى حى آخر ،

ــ ولكن امنع القديس من اللحاق بنا ،

فقال دونيل فى فخر :

ــ كن مطمئنا ٠٠ فهيا اسرع بالفرار فان وجودك يضر ولا يفيد ،

وابتلع ستيفن هذه الاهانة دون اعتراض وقال :

ـ اذا ما عادت الفتاة فاخرج انت بحجة الاتصال باعوانك وأنا الكفيل بالباقي .

ونظر اليه دونيل نظرة فاحصة وقال :

ـ ما معنى هذا .. ؟ يلوح لي أنك تحب الفتاة ؟

فأحنى استيفن رأسه وهو يفرغ في جوفه كأسا أخرى وقال :

ـ انى متيم بها .. لقد انضممت اليها علني اظفر بحبها .. ولكن لا داعي لان اخدع نفسي بعد الان .. انها تزدريني وتحتقرني .. ولكنى سأنالها بالقوة اذا لزم الامر .. سأختطفها وارغمها على أن تحبني ..

واهاجت الخمر أعصابه فانطلق يقول :

ـ نعم انها تحتقرني .. كانت تهزأ بي ونحن في القطار .. ولكني سأنالها .. سأنالها ولو كان هذا اخر عمل أقدم عليه في حياتي . تصور انها تحتقرني ..

فقال دونيل في غير اكتراث :

ـ ومنذا الذي لا يحتقرك وانت جبان رعديد .. ؟

فمسح استيفن فمه بكمه وقال وقد الهبت الخمر رأسه :

ـ انى لست جبانا رعديدا يا دونيل .

ـ بل انت جبان رعديد .. انك اجبن من عرفت من الرجال ومن النساء .

فهب استيفن واقفا وهو يقول :

ـ اسحب هذه الاهانة يا دونيل .. !

فنظر اليه دونيل في برود وقال :

ـ لا تضايقني والا ..

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخلت جيل تريلوني فالقى دخولها ماء باردا على المعركة المنتظرة .

وقالت الفتاة :

ـ لقد تفرجت على البيت .. انه في الواقع حصن حصين كما تقول . فاذهب الآن وايقظ اعوانك .

فغادر دونيل الغرفة وهو يقول :

ـ انى ذاهب .

ونظرت جيل الى زجاجة الخمر الفارغة والى استيفن الذى كان يهتز ويتمايل وقالت :

ـ قلت لك اشرب كاسا لا الزجاجة بأكملها .

وتكلم استيفن قائلا :

ـ اسمعى يا جيل .. لقد وجدت مخرجا .

ومشى الى الدولاب ففتحه وحرك اللوح فانفتح باب الممر السرى وانكشفت الدرجات والدهليز تضيئها مصابيح مركبة فى السقف .

وقال استيفن فى خيلاء :

ـ هذا هو المخرج .. !

فابتسمت الفتاة هازئة وقالت :

ـ جميل جدا .. ولكنى لا أحب أن أخرج بهذه الطريقة .

فحملق فيها استيفن دهشة وقال :

ـ ماذا تقولين .. ؟

فاجابته فى زراية واستخفاف :

ـ كنت أقول انك عبقرى نابغ .. وانه لولاك لوقع ملائكة العذاب فى أحرج المآزق .. ان لك يا استيفن ذهنا خصبا يشرق ويتألق فى الازمات الشديدة .

ـ جيل .. !

فانقلب تهكمها الى احتقار وقالت :

ـ كفى .. ! اذا كنت ثملا فانت غاضب مزمجر .. واذا كنت صاحيا فانت عديم النفع .. ! ولست ادرى ايهما

اسوا ..؟ تشجع وتجلد .. ان دونيلي ورجاله سيحولون دون دخول القديس فلا تهرب .. ان ملائكة العذاب لم يتراجعوا في يوم من الايام .. ولن يتراجعوا الان .

ـ ولكن يا جيل .

فقاطعته في برود قائلة :

ـ ان هذا البيت حصن لا سبيل الى الدخول اليه . ولكنني سأسمح للقديس بالدخول لانه لن يخرج .

فتقدم اليها استيفن مترنحا وهو يقول :

ـ قلت لك اننا سنخرج من هذا المعر .. الان .. !

وارتفع صوته وهو يقول :

ـ كفى .. ! حسبي انى كنت اطيعك حتى الان . لقد ضقت ذرعا بهذا الموقف . لن اسمح لك بان تأمريني بعد اليوم .. انك تعامليني كأني طفل ساذج .. كلا .. انى لن اقبل هذا بعد الان .. ستفعلين ما آمرك به لا .. وفي الحال .. هيا بنا .

فصعدته بنظرها وقالت :

ـ لو انك شربت كأسا اخرى لسقطت فاقد الوعي .. فهيا اشربها فانى لا احبك بحالتك الراهنة .. !

ـ حقا .. حقا .. !

وامسك بذراعيها في عنف وهو يقول :

ـ انى لن اسمح لك بان تخاطبيني بهذه اللهجة بعد الان .. افهمت .. من الان فصاعدا سأكون انا الذى اصدر الاوامر .. على الامر وعليك الطاعة ..! انى احبك يا جيل .

فقالت له في برود :

ـ من جننت .. !

وللمرة الاولى في حياتها شعرت بالخوف يتسرب الى قلبها .

ـ انى لست مجنونا .. كنت مجنونا من قبل .. اما الان فرجع الى عقلي . اريد .. ان آخذك معي .. لنخرج من انجلترا .. لنغادر هذه البلاد الملعونة .. سأغدق عليك المال والجواهر والثياب الجميلة .. وستحبينني .. ستنسين هذه السخافة المتعلقة بأبيك .. لن تفكرى فيها بعد الان .. لن تفكرى الا في انا .. انى أحبك يا جيل .

ونفضت الفتاة ذراعيها من قبضته الخشنة وأخرجت مسدسها من حقيبتها ولكنه انتزعه في وحشية وهو يقول :

ـ دعي هذه اللعبة يا جيل .. دعيها ..!

وطوقها بذراعيه وهي تدفعه عن نفسها وان كانت قد شعرت بضعفها الى جانب قوته التى اهاجتها الخمر .. وجعل يتلمس شفتيها بفمه الذى تفوح منه رائحة الشراب .

وعلى حين فجأة تراخت عضلاتها وتخاذلت بين ذراعيه .. كان التظاهر بالاغماء هو في رأيها خير وسيلة لمعالجة الموقف حتى تباغته على غير حذر منه .

ونظر اليها استيفن لحظة في بلاهة ثم احتملها على ظهره ودخل الى الدولاب . وأخذ يهبط الدرج حتى انتهى الى المعر السرى فسار فيه مهتديا بضوء المصابيح المثبتة في السقف .

وانتهى به المعر الى شعبتين حار أيهما يسلك . ولكنه اثر ان يتخذ الشعبة اليمنى فانتهت به الى غرفة خالية من النافذ رأى فيها فراشا فالقى الفتاة عليه ووقف يمسح جبينه الذي كان يتصبب عرقا .

وفتحت الفتاة عينيها خلسة فرأته غير ملتفت اليها ومسدسه بارز من جيبه الخلفي فاسرعت في حركة خفيفة وهمت بأن تختطف المسدس ولكن في الوقت الذي لمست

فيه أصابعها مقبضه دار استيفن على عقبيه وراءها فصاح مزمجرا :

ـ ولا هذا ايضا ايتها الشيطانة الصغيرة .

وامسك برسغها ولوى ذراعها فسقط المسدس من يدها . وقال لها :

ـ اتوردين ان تقتليني . ؟ كلا .. انى لن أمكنك من ذلك .. بفضل لى بسينتلب جبا .. نعم .. ستحبينني على الرغم من كل شيء .. على الرغم من انى انا عدوك ولدستين .

تأجلت الفتاة وتراجعت الى الخلف ونظرت اليه فى ذهول وتمتمت :

ـ انت ولدستين .. ؟

ـ نعم . أنا ولدستين . ! انا الرجل الذى كان شريكا فى تلفيق التهمة ضد أبيك .. ولدستين الذى كان سببا فى موت أبيك .. كان ابوك شديد الوطأة علينا بصفته من رجال البوليس . فكان لابد من أن نتخلص منه .. ولكننى أحبك انت يا جيل .. وستحبينني على الرغم من أنى انا ولدستين الذى تبحثين عنه لتنتقمى منه .. نعم .. ستحبينني . !

الفصل الثامن

كان فى القطار رجل آخر لم يره سيمون تمبلار اثناء السفر وانما وقعت عليه انظاره للمرة الاولى عند وقوف القطار فى محطة برمنتجهام ولم يسر تمبلار بهذا اللقاء ولكنه كتم امتعاضه فكان مستر كوليس وكيل ادارة الأمن العام هو الذى حملق وعبس .

ـ يا الهى . ! كيف جئت هنا يا سيمون . ؟

فأجابه القديس فى لهجة جدية :

ـ جئت على دراجة .. ولكن كيف جئت انت .. ؟ على موتوسيكل . ؟

ـ لقد وصلتني رسالتك .

ـ أية رسالة . ؟

ففتل كوليس شاربه وهو يقول :

ـ اتصل بى داسون تليفونيا وانبأنى بانهم ظفروا بك وانك لغرض خاص تريد أن تبقى اسيرا بين ايديهم وان لا أخف الى نجدتك . وانما على أن أذهب بنفسى الى برمنتجهام لاقبض على هارى دوبنيل .

فنظر اليه القديس مفكرا وقال :

ـ يظهر ان هذه خدعة أخرى مماثلة للخدعة التى وقع فيها سير تريلونى . انى لم اعهد الى داسون بابلاغك مثل هذه الرسالة واستطيع ان أؤكد لك انه ليس هو الذى تحدث اليك تليفونيا .. ان داسون لم يتركنى منذ قبض على الى ان تمكنت من الفرار قبيل قيام القطار فلو انه هو الذى خاطبك لاستحال عليك أن تلحق بالقطار .. لقد خدعوك !

ورد كوليس قبعته الى الوراء وقال :

ـ ولكن ما هى غايتهم ؟

ـ لا ادرى .. حتى الآن .. ولكن ما دمت موجودا فيمكننا ان نستفيد منك .. اذهب الى مخفر البوليس وامرهم باتخاذ الاحتياطات التى تراها .. دعهم يحاصروا المنزل حتى اذا خرجت البيم بدوبنيل تلقفوهما على الفور دون اضاعة الوقت .

ـ اتنوى ان تذهب وحدك ؟

فأجابه تمبلار فى لهجة تدل على الحزن :

ـ لا مفر من ذلك . ان « دادشى » فى عطلة اليوم ! فالى اللقاء أيها الصديق العزيز .

وربت على كتف الوكيل بطريقة جعلت تلطفه اشبه باللكمات ثم وثب الى سيارة التاكس وترك مستر كوليس خلفه يحملق فيه مذهولا .

وأمر السائق بالوقوف على مسافة من بيت دونيل اذ لم يكن من الحكمة ان يهبط عند الباب مباشرة وهو يعلم ان أمام الباب ممرا طويلا لابد من اجتيازه وانه ان سار فيه خطوة واحدة كان هدفا طيبا لرصاص المسدسات . ولم يكن تمبلار ليحب أن يحضر جنازة الا اذا كان ماشيا على قدميه !

ودخل تمبلار دكان بائع سجائر فى احد المنازل المجاورة لبيت دونيل وقال للبائع :

ـ اتقيم فى الطابق الاعلى فوق الحانوت ؟

ـ نعم يا سيدى .

ـ اذن اسمح لى باستعمال مسكنك .. انى بوليس سرى .. وهاك شارتى .. ولكن لا تنتظر عودتى لانى لن اخرج من هذا الباب .

وصعد الى البيت الذى يقع فوق حانوت السجائر واقترب من النافذة ونظر الى بيت دونيل المجاور .

كيف الوصول الى هذا البيت وهو قائم وحده غير متصل بما حوله كأنه جزيرة تتوسط الماء ! لو أن القديس كان معتوها لخطر له أن يضع لوحا من الخشب بين نافذة بائع السجائر ونافذة بيت دونيل فيعبر اللوح الى الجهة الاخرى . ولكنه لم يكن معتوها اذ كان موقنا بأنه ان فعل ذلك رآه رجال العصابة المنبثون فى النوافذ فى انتظار مقدمه .. وفضلا عن هذا فهو يعلم ان من المحتمل ان تزل قدمه فيسقط الى الفناء من حالق وتتهشم رأسه .. وما كان ليحب ان يدفن برأس مهشمة .

وصعد القديس الى سطح المنزل فالفناء يعلو منزل

دونيل باقل من مترين .. وان المسافة بين المنزلين تبلغ نحو ثلاثة أمتار فاستجمع قوته ووثب فى الفضاء فاستقر على سطح بيت دونيل فى خفة ورشاقة اذ كانت هذه فى رأيه هى الوسيلة الوحيدة لاقتحام هذا المعقل الحصين . وكان مطمئنا ايضا الى ان رجال العصابة لن يلمحوه لانهم انما يتوقعون قدومه من اسفل لا من اعلى .

ورأى فى السطح بابا ضخما من الحديد حاول أن يفتحه فلم يفلح .. ولكن مثل هذه العقبة ما كانت لتعوقه عن بلوغ غايته .

اقترب تمبلار من سياج السطح واطل الى الخارج مرهفا اذنيه للسمع فلم يسمع صوتا يصدر من النافذة التى كانت تقع تحته مباشرة . ولم يستغرب ذلك بطبيعة الحال اذ كان يعتقد أن رجال العصابة قد اجتمعوا فى الطابق الاول فى انتظاره وتركوا الطابق العلوى مطمئنين الى أنه سيدخل البيوت من ابوابها لا من اسطحتها .

وتعلق تمبلار بالسياج باصابع من الفولاذ ورمى بجسمه فى الفضاء حتى صارت قدماه فى محاذاة النافذة فجذب احدى الضلف بقدمه ثم شد عليها برجليه بقوة معتمدا فى حمل جسمه على قوة ساقيه . ثم رفع يديه عن السياج وثنى جسمه الى الاسفل حتى اذا بلغت يداه الضلفة امسك بها ثم بسط ساقيه فاستقرت قدماه على حافة النافذة .

وان هى الا لحظات حتى صار داخل الغرفة !

وكانت خالية كما توقع .. فمشى الى الباب وفتحه فى حذر فرأى أمامه سلما فهبطه ومسدسه فى يده . فلما بلغ الطابق الثانى رأى امامه بابين ففتح أحدهما ودخل .

وكانت هذه الغرفة خالية ايضا .. ورأى فى صدرها دولابا مفتوحا على مصراعيه .. وفى الدولاب منفذ سرى

هو الذي سلكه استيفن والفتاة على ظهره .

واسرع تمبلار يهبط الدرج الممرى .. واجتاز الممر مسرعا حتى انتهى الى الشعبتين . وهناك وقف مترددا كما تردد استيفن من قبل . وحانت منه التفاتة الى الارض فأخذت عينه جسما صغيرا براقا فلما التقطه الفاه فردة قرط صغير .

وفي هذه اللحظة ارتفعت من طرف الشعبة اليمنى صرخة حادة مكتومة فانطلق القديس يجرى الى مصدرها !

كان استيفن واقفا وظهره الى الباب فلم ير القديس وهو يقترب ولم يسمع خطواته اذ كان منهمكا فيما يجرى بينه وبين جيل فلم ينتبه الا حين قبضت على كتفه يد قوية ودفعته الى الجدار فى عنف .

واستدار استيفن .. فرأى القديس ! وامتدت يده فى سرعة الى جيبه الخلفى ولكن القديس كان اسرع منه حركة فاستقرت قبضته على فك استيفن فترنح وسقط على الارض .

وحين التفت رأى الفتاة الى جانبه وهى متعلقة بذراعه فقالت له :

ـ اسمعت ! اسمعته وهو يعترف بانه ويلدسون .. ؟

فأحنى القديس رأسه وقال :

ـ لقد سمعت .

ثم انحنى فأخذ استيفن بين يديه وحمله على ظهره وهو فاقد الوعى .. واستدار الى ناحية الباب فقالت له الفتاة :

ـ الى اين تذهب .. ؟

ـ سأذهب لاقبض على دونيل وعصابته . اتأذنين لى ؟

ثم مشى فى سكون كأنما لم يشعر بانه اسدى الى الفتاة خدمة جليلة بانقاذها من هذا الوحش الكاسر . فتبعته الفتاة دون أن تتكلم .

وعندما خرج من الدولاب الى الغرفة وجد هارى دونيل فى انتظاره ومسدسه فى يده .. !

وتكلمت الفتاة وهى واقفة خلف تمبلار :

ـ لا تهتم به يا دونيل . ان مسدسى مصوب اليه .

وكانت بوقفتها وراء القديس وهو يحمل استيفن محجوبة عن عينى دونيل فلم ير المسدس الذى قالت انه فى يدها . ولكنه اطمأن الى قولها فارخى يده بمسدسه .

وشعر تمبلار بيد الفتاة تضغط ظهره بطريقة ذات مغزى لم يخف عليه . وسمعها تقول :

ـ هيا .. تقدم .

وفهم القديس غايتها . وتقدم .

وجعلته حركته على قيد خطوة واحدة من دونيل الذى كان مرخيا يده الى جانبه والمسدس فيها .

وعلى حين فجأة ترك القديس حمله يسقط على الارض . وفى نفس اللحظة ارتفعت يده واصابت فك دونيل فترنح وسقط على الارض وقد افلتت اصابعه المسدس .!

وابتسم القديس وقال :

ـ شكرا لك .

وقد نطق بهذه الجملة فى لهجة غريبة لم تسمعها منه جيل من قبل فحدجته بنظرة فاحصة وقد استولت عليها الحيرة والذهول ..

الفصل التاسع

صوب تمبلار الى هاري دونيل المسدس الذي التقطه من الارض ثم اخرج من جيبه سيجارة أشعلها ونفث من فمه حلقة كبيرة من الدخان ونظر الى الفتاة .

وتكلمت جيل تريلوني قائلة :

— اظن انه ينبغي ان اشكرك .

— ولماذا ؟

— انك تعرف السبب .

فهز تمبلار كتفيه وقال :

— ارجو ان يكون في هذا درس ينفعك .. يجب ان تحسني اختيار رفقائك . ولكن لماذا انقذتني من دونيل ؟

— لكي اوفيك دينك .

— اذن فقد وسعنا ان نبدأ النضال من جديد .. متعادلين .. لا يقيد احدنا الاعتراف بالجميل .

ونظرت اليه الفتاة وقالت :

— أحسبك تريد أن تجردني من مسدسي . ؟

— ارجوك

وفتحت الفتاة حقيبتها وهو لا يحفل حتى بمجرد النظر اليها لقد تطورت الامور ولم يعد الآن يعتبرها عدوة له .

وعلى حين بغتة انتبه على دوي طلق ناري . فلما نظر الى استيفن ويلد جثة هامدة . !

كان القديس موجها كل اهتمامه الى هاري دونيل وقد غفل عن مراقبة استيفن ويلد . فلما افاق هذا من اغمائه حاول ان يخرج مسدسه من جيبه فلمحته الفتاة وعاجلته برصاصة اردته قتيلا . ثم صوبت مسدسها الى القديس .

وهز تمبلار رأسه قائلا :

— ما كان ينبغي يا جيل ان ترتكبي جريمة القتل على مرأى ومسمع من شرطي محترم مثلي . لو ان ذلك حدث مرة اخرى ..

فقاطعته الفتاة في اقتضاب قائلة :

— لا تهتم بهذا .

— اذن فبأي شيء اهتم . ؟ بالرقص مثلا ؟

فنظرت اليه الفتاة ثم الى المسدس الذي في يدها وقالت :

— تمبلار .. ان لك اعصابا من حديد . !

— واعصابك ايضا من حديد . !

— لقد اطلقت النار على استيفن اذ رأيته يحاول ان يخرج مسدسه ليرديك قتيلا . فهل انقاذي حياتك لا يعد مبررا قويا لما فعلت . ؟

— كلا .. ان مسدسي في يدي وكان في وسعي ان ادافع عن نفسي ولم يكن ثمة ما يدعو الى قتله . كان ممكنا الاكتفاء باصابته اصابة بسيطة اما هاري دونيل فسيكون فيما اعتقد شاهد الملك . سيشهد عليك بما وقع وسيضيف بعض حواشي من عنده انتقاما لنفسه منك .

— وانت ؟ الاتنوي ان تزعجني ؟

— انك تخطئين فهمي يا جيل ليس من عادتي ان ازعج احدا

وتعالى من خارج القاعة وقع اقدام تصعد السلم في اسراع فوثب القديس الى الباب واوصده بالمفتاح ووضع خلفه المائدة بحيث تعوق فتحه وقال :

— سترد هذه المائدة رجال دونيل ثلاث او اربع دقائق

فابتسمت جيل وقالت :

— وهذه الدقائق تكفي « لخروجي » من الممر السري .

— نعم .. انها تكفي « لخروجنا » من الممر السري .

فابتسمت جيل وقال :

فوثيل للعمل لكي يعرقل هذا الفرار .. ولكن القديس عاجله بضربة افقدته الوعي وهو يقول :

ــ انى اسف . ولكن لابد من هذا .

ثم تحول الى الفتاة وقال في لهجة رجل يدعوها الى مرافقته الى السهرة :

ــ هل انت على استعداد للخروج ؟ الا تحبين ان تكوى شعرك اولا . ؟

وكانت الفتاة لا تزال تنظر اليه والى مسدسها المصوب نحوه .. وقالت له :

ــ اليس في نيتك ان تقبض على ؟

فابتسم في وجهها وقال :

ــ وهل يعقل ان اقبض عليك لانك قتلت الرجل الذى كنت انا نفسي اتمنى أن أقتله .. حقا يا جيل انك تخطئين فهمي اكثر مما ينبغى .. ولكن أعوانى فى الخارج فى هذه المرة حقيقة . ان الشرطة منبثون حول البيت وعلى رأسهم وكيل ادارة الامن العام نفسه واعتقد أن ليس في وسعك الفرار دون معونتى .. فهل تسمحين بأن احمل عنك هذا المدفع برهة ؟

ومد يده فتناول مسدسها دون أن تبدى مقاومة .. ثم دفعها الى الدولاب ذى الممر السرى وهى خاضعة له .. وقد وقعت تحت سيطرته وتوهما تماما .. وقال مسترسلا :

ــ ولكنى ارجوك ان تعتبرى نفسك مقبوضا عليك .. فان هذا يهون على معالجة الموقف .

وسارا فى الممر السرى حتى انتهيا الى لشعبتين فاتخذا الشعبة اليسرى وبلغا سلما صعداه فالفيا امامهما جدارا يسد الطريق فعالج فيه القديس زرا فانشق الجدار

عن فجوة نفذا منها فاذا هما فى غرفة وجدا فيها مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام وحوله نفر من رجال البوليس السرى اذ كان البوليس على علم بهذا الممر ..

وأخذ القديس بذراع الفتاة ثانية وهو يقول :

ــ هذى أول فريسة وقعت بين يدى .. ان دوثيل وأستيفن مغمى عليهما فى البيت فاسرعوا اليهما قبل ان يحطم رجال العصابة الباب وينقذوهما .

وهرع رجال البوليس الى الممر وقال تمبلار :

ــ سأذهب بالفتاة بنفسى الى المخفر ؟

وسار بها الى الردهة الخارجية ومستر كوليس يتبعهما .

واجلس تمبلار الفتاة فى سيارة التاكسى التى كانت عند الباب والتفت الى مستر كوليس وقال :

ــ ارجوك يا عزيزى اذا قابلت المفتش تيل ان تنبئه بانى اذكى واعظم رجال البوليس السرى .. ان هذه الشهادة كفيلة بأن تجعله يموت غيظا وانا أحب ان يموت تيل غيظا .

وقال مستر كوليس يسأله :

ــ اذاهب انت بالفتاة الى المخفر . ؟

ــ طبعا .. وسانتظرك حتى توافينا مع بقية المقبوض عليهم .

وحين تحركت السيارة التفت القديس الى الفتاة وقال وهو ينظر فى ساعته :

ــ يمكننا ان نلحق بالقطار قبل ان يتحرك .

ــ وبعد ذلك ؟

ــ انى اعرف مكانا قبيل لندن .. يبطىء فيه القطار بسبب اصلاحات فى الطريق .. فيمكننا ان نثب منه دون ان يشعر بنا أحد ونختفى .

- أتنوى ان تفعل ذلك حقا ؟

- طبعا لقد انتهى تاريخى كرجل من رجال البوليس .. لقد عدت الآن كما كنت ذلك المغامر الجرىء الذى يتحدى القانون .

فتحملقت فيه الفتاة وقالت :

- انى اسائل نفسى عن السر فى هذا التغير ؟

- لذلك اسباب طبعا .. ولكنى لا انوى ان اصارحك بها .. الآن على الأقل .

وساد صمت قصير قطعته الفتاة بقولها :

- وما الذى تنوى ان تفعله بعد أن نغادر القطار ؟

فأجابها القديس فى بساطة :

- يوجد فى هذه الدنيا الواسعة رجل يدعى اللورد اسدين وهذا الرجل مسافر غدا الى باريس .. وهكذا ستكون باريس وجهتنا نحن ايضا .!

الفصل العاشر

يحكى انه كان هناك فى سالف العصر والأوان رجل يدعى اللورد اسدين .. وقابل هذا اللورد رجلا يدعى سيمون تمبلار فأطلق عليه رصاصة وفى نيته ان يرسله الى الجنة .. او الى الجحيم .. ولكن الساحرة العجوز كانت قد اعطت القديس تميمة تقيه الموت فطاشت الرصاصة ولم يصبه سوء .

ولم يحقد ذلك الرجل المدعو تمبلار على اللورد اسدين اعتقادا منه ان الاعمار بيد الله .. فضلا عن ان اللورد انما اطلق عليه الرصاص حين ضبطه فى بيته وهو يحاول ان يغتصب درج مكتبه فكان اللورد بعمله هذا غير متجاوز حقوقه المشروعة .

كان القديس قد بدأ يهتم باللورد اسدين وبرحلاته المتوالية الى باريس منذ بضعة شهور فأراد ان يغتصب مكتبه ليعرف السر فى هذه الرحلات .

ولم يكن اللورد يعود مرة من رحلته الى باريس الا حمل الى مصرفه قدرا كبيرا من النقود الفرنسية .. وكان تمبلار يعلم ان الانجليز الذين يزورون باريس ويعودون وجيوبهم محشوة بالمال - قوم يثيرون الفضول .

وهكذا ثار فضوله .. وهكذا بدأ يهتم باللورد .

وسافر تمبلار الى باريس وفى رفقته جيل تريلونى ومكثا يومين فى فندق ويتزاذ كانا يعلمان ان اللورد اسدين انما اعتاد ان ينزل فى هذا الفندق .. ومن خلال هذين اليومين لم يجر بين تمبلار واللورد الا حديث واحد : وذلك حين اعتذر اليه القديس عندما وطىء قدمه



وهما فى المصعد .!

وعرف القديس ان اللورد ينوى ان يسافر فى صباح اليوم التالى فانتحل سببا للتعرف اليه وهما جالسان فى بار الفندق فشربا معا بضعة اقداح من الخمر .. ولم يشيرا بطبيعة الحال الى لقائهما السابق يوم اطلق اللورد النار على القديس .. اذ كان تمبلار فى تلك الليلة ملثما فلم يعرفه اللورد الآن .

ولما صعد اللورد الى مخدعه صعد القديس بدوره الى مخدعه .. وبعد انقضاء ساعة كانت كافية ليؤدى الويسكى مفعوله غادر القديس غرفته ودق باب اللورد .. فلما لم يسمع جوابا أدار المقبض ودخل فرأى « صديقه » العزيز مرتميا على فراشه دون أن يكلف نفسه مؤونة ابدال ثيابه .

فنظر اليه تمبلار فى عطف وشفقة ثم سحب الغطاء عليه ليقيه البرد ٠

وحين استيقظ اللورد فى صباح اليوم التالى ورجع الى لندن ذهب من فوره الى مقابلة صديقه القديم مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام وافضى اليه بقصة عجيبة ٠

ومستر كوليس رجل كسول لا يحب ان يتعب نفسه ٠ فالمسائل التافهة فى اعتقاده يجب أن تكون من اختصاص مساعديه ٠٠ اما المسائل الخطيرة فيجب ان تكون من اختصاص المدير العام !

ولكنه فى هذا اليوم قابل اللورد لما بينهما من معرفة قديمة ٠

ولم يكد اللورد يتخطى عتبة الغرفة حتى صاح يقول دون مقدمات :

ــ كوليس لقد رجع ملائكة العذاب الى نشــاطهم السابق ٠

فقال مستر كوليس فى جفاء :

ــ أى ملائكة عذاب ؟

وقبل ان يجيب اللورد فطن الى وجود شخص اخر فى الغرفة فقطب جبينه وقال :

ــ كوليس ٠ من هذا السيد ؟

ــ انه المفتش نيل الذى انيط به تحقيق هذه القضية ٠

وغاص اللورد فى أحد المقاعد فقال له كوليس :

ــ ما معنى قولك ملائكة العذاب ؟

فاجابه اللورد فى امتعاض :

ــ لا تكن كتوما يا كوليس ولا تحاورنى ٠٠ انك تعرف ما اعنى ٠٠ اننى اقصد عصابة جيل تريلونى ٠

ــ ان اعوانها اثنان : بود الاحمر واستيفن ويلد ٠٠

الست ترى من الاسراف ان تصف ثلاثة اشخاص بانهم عصابة ؟

ــ ولكن هناك آخرين ٠٠

ــ لكى يقوموا بالعمل فقط بصفة مؤقتة ٠٠ فهم ليسوا من اعوانها الثابتين ٠

فنقر اللورد باصبعه على حافة المكتب فى حركة عصبية وقال :

ــ انك تدرك ما أرمى اليه ياكوليس فلا تتعبنى .. لقد رجعت جيل تريلونى الى العمل ٠٠ مادام هذا التعبير يروق لك ٠٠ وكذلك سيمون تمبلار ٠

ــ أين ٠٠ ؟

ــ لقد عدت من باريس بالامس ٠٠

فقال كوليس فى بساطة : وأنا ذهبت الى السينما بالامس ٠٠ فهل لما أعمله أنا أو تعمله أنت أية أهمية ٠٠ ؟

فعبس اللورد مستذين وقال :

ــ انك متعب يا كوليس ٠٠ أردت أن أقول أن القديس كان فى باريس ٠ وكانت جيل تريلونى معه ٠

ــ هل رأيتهما ٠٠ ؟

ــ كلا ٠

فقال كوليس حانقا :

ــ اذا كنت لم ترهما فكيف عرفت انهما فى باريس .. ؟

ــ لقد تعرفت وأنا فى البار الى شاب شاطرنى الشراب .. ولابد أن يكون هذا الشاب هو القديس. لقد فهمت ذلك الآن اذ أدركت فيما بعد أنه دس لى مخدرا فى الشراب . فلما آويت الى مخدعى نمت على الفراش دون أن أخلع ثيابى ولم أستيقظ الا حين دخل على الخادم فى الصباح ليوقظنى ٠٠ ولست أدرى ما الذى قاله عنى وهو يرانى نائما بثيابى ٠٠ !

ـ قال عنك طبعا انك سكران .

ـ ربما .. ولكن المهم انى حين استيقظت وجدت انى سرقت .. اختفت من محفظتى أوراق بنكنوت قيمتها ربع مليون فرنك . كما اختفت مفكرتى ومحفظتى وهما عندى أهم من المال .

فاعتدل كوليس فى مقعده وقال :

ـ وما سبب هذه الاهمية ؟..

ـ ان المفكرة مكتوبة بالشفرة .

ـ ما الذى تتضمنه ؟..

ـ حسابات .. وبعض العناوين .. ان ما فيها لا صلة له بشىء فى انجلترا .

واستند مستر كوليس بمرفقيه على مكتبه وقال فى صوت هادىء :

ـ يا عزيزى اللورد .. هناك أشخاص يهتمون بأمرك .

فاجابه اللورد فى حنق :

ـ لقد انبأتك بهذا من قبل فلم تفعل شيئا .

ـ لقد عرضت عليك حماية البوليس .

ـ سحقا لحماية البوليس .. ! الم يكن أحد رجالكم يحرس بيتى يوم ضبطت لصا يعبث بمكتبى .. ! هذه هى قيمة حماية البوليس .. !

فقتل مستر كوليس شاربه وقال :

ـ ومع ذلك فلا دليل حتى الان على أن القديس هو ذلك اللص .. كما أنه لا دليل على انه هو أو جيل تريلونى بطلا حادث باريس الاخير .

فاخرج اللورد ورقة من جيبه قدمها الى مستر كوليس وهو يقول :

ـ وما رأيك فى هذا .. ؟

وكانت فى الورقة جملة صغيرة مؤلفة من كلمتين هذا نصها :

« أول ابريل » .

وفى ذيل هذه الجملة امضاء القديس والى جانبها صورة كاريكاتورية تمثل امرأة .

وناول كوليس ورقة الى المفتش تيل فنظر فيها مليا ثم رفع عينيه الى النتيجة المعلقة على الجدار وقال :

ـ هذا معناه يوم الجمعة القادم .. ان يوم الجمعة من الايام المنحوسة فهل أنت ممن يتشاءمون ؟.

فصاح اللورد استدين حانقا :

ـ يا الهى .. ، أبهذه الطريقة تتولون تحقيق القضايا .. ! أريك هذه الورقة فيكون جوابك الوحيد ان يوم الجمعة من الايام المنحوسة .. !

فقال مستر كوليس :

ـ ولا تنس أيضا أن أول ابريل يوم الكذب .. كذبة أبريل .

فقطب اللورد جبينه وقال :

ـ أتمزحون فى وقت الجد ؟.

ـ المزاح يرفه عن الاعصاب المتعبة .

ونهض مستر كوليس واقفا ايذانا بانتهاء المقابلة وانه لا ينوى أن يسمع بعد ذلك كلمة أخرى . وقال فى اقتضاب :

ـ يمكنك ان تطلعنى على ما قد يجد من التطورات .

فنهض اللورد واقفا بدوره وقال :

ـ انى احتج يا كوليس .. انك لا تقابل شكايتى بما تستحق من الاهتمام .

فتثاءب وكيل ادارة الامن العام وقال :

ـ كل شرطى فى انجلترا يبحث عن سيمون تمبلار

وجيل تريلونى . فاذا قبضنا عليهما قدمناهما الى المحاكمة .. فانتظر حتى يحين ذلك اليوم وعندها يمكنك ان تتقدم بشكواك .. ولك الان اذا شئت ان تسجلها كتابة وتقدمها الى السرجنت بيريمان ليضمها الى الملف الضخم الذى لدينا . طاب مساؤك يا سيدى اللورد .

فصاح اللورد قائلا :

ـ ولكنى خائف يا كوليس .. ؟

فحدجه كوليس بنظرة فاحصة وقال :

ـ انى اعرف أنك خائف .. وانى أسائل نفسى عما يبعث فى نفسك هذا الخوف منهم .. ؟ طاب مساؤك .

وشعر اللورد بيد كوليس وهو يهز يده مصافحا ثم ألفى نفسه خارج الباب وقد أغلقه كوليس من الداخل .

وفى تلك الليلة تعشى اللورد استدين فى النادى ورجع الى بيته الذى يقع فى ضواحى لندن فى منطقة منعزلة اذ كان اللورد يمقت الحياة الاجتماعية الصاخبة على نقيض زوجته التى كانت تؤثر الاقامة فى قلب لندن .

وحين وصل اللورد الى داره عرف أن زوجته قد اوت الى مخدعها منذ ساعتين . وقدم اليه الخادم الذى فتح له لوح خشبى حركه فانكشفت عن خزانة صغيرة فتحها هو نصها :

« الق نظرة على الخزانة التى خلف المكتب » .

وكانت هذه الجملة مذيلة بامضاء القديس والى جانبها صورة كاريكاتورية تمثل امرأة .

واشعل اللورد النار فى الرسالة حتى أتت عليها ثم رفع بضعة مجلدات مصفوفة على رف الكتب فظهر وراءها لوح خشبى حركه فانكشف عن خزانة صغيرة فتحها اللورد فاذا فيها تلك المفكرة الخطيرة التى سرقت منه فى باريس .

وأسرع يقلب صفحاتها .

كان ما فيها مكتوبا بالشفرة .. ولكنه ألفى تفسير هذه الرموز الغامضة مكتوبا بين السطور بخط دقيق .

اذن فقد استطاع من سرق المفكرة أن يفك طلاسمها ويعرف سرها .

ووضع اللورد المفكرة فى جيبه وأخذ يتمشى فى أرجاء الغرفة .

لم تكن المفكرة فى الخزانة حين رجع من باريس بالامس اذ كان قد فتحها وأودع فيها بعض الاوراق قبيل ذهابه الى مقابلة وكيل ادارة الامن العام .. وطابع الخطاب الذى يدعوه الى القاء نظرة على الخزانة يدل على أنه ألقى فى البريد فى صباح اليوم .. وفى الصباح كان تيلار وجيل فى باريس .. والخطاب وارد من باريس .

ودق البارون الجرس يستدعى خادمه فلما جاءه ملبيا قال له :

ـ ألم يحضر أحد اليوم لزيارتى .. ؟

ـ كلا يا سيدى .. الا طبعا مفتش الالات الكاتبة الذى أمره مولاى بالحضور لفحص هذه التيبرايتر فقد حضر فى الساعة السادسة .

وعرف اللورد على الفور أن هذا المفتش المزعوم هو الذى وضع المفكرة فى الخزانة .

ولبث اللورد فى مكتبه ساعة كاملة وهو غارق فى التفكير . وحين اوى الى مخدعه قد استقر على الخطة التى ينبغى أن يتبعها .

كانت خطة جريئة يائسة ولكنها كانت فى رأيه السبيل الوحيد الى الخلاص .

الفصل الحادى عشر

تناول سيمون تمبلار الورقة التى كان منهمكا فى كتابتها أثناء العودة .. وسعل مرتين ليجلو صوته ثم قال :

— لقد علمنا أن القصيدة الثانية نالت الجائزة الاولى فى معرض الاداب والفنون .

ثم أخذ يقرأ على جيل تريلونى آخر قصيدة نظمها ، فلما فرغ قالت له :

— ما هذا الذى قرأته على ..؟

— قصيدة .. يلوح لى انك لا تفهمين الشعر وهذا شيء يؤسف له .. ان الشعر يا صديقتى هو غناء الملائكة .. وأنا رجل مولع بنظم القصائد .. وأرجو الا يدهشك الامر فنحن الان فى زمن الغرائب والعجائب .. لو أنك كنت تقرأين الصحف لعلمت اننا فى زمن يرأس فيه الاسقف لجنة اباحة الخمور .. ويشتغل بطل الملاكمة مربية الأطفال ويدعو القائد الحربى الى نشر الوية السلام .. ! فلا تستغربى بعد ذلك اذا رأيتنى انظم الشعر .

وقالت جيل وهى ترشف جرعة من قدح الشاى :

— قل لى .. ما الذى يشغل ذهنك ..؟

— انى أفكر فى اختراع طريقة يمكن بها تنحيف الجسم دون أن يضطر الانسان الى أن يضع نفسه داخل مكبس يضغط بدنه !

— وما الذى يشغلك خلاف هذا الاختراع ؟

— انى أفكر أيضا فى أن الحياة جميلة بديعة .. فى

جيبى الآن ربع مليون فرنك .. وقد قمت بزيارة طريفة للريف عرفت منها أن فى وسعى أن أشتغل مفتشا للآلات الكاتبة اذا لم أفلح فى مزاولة المهن الاخرى .. وقد نظمت قصيدة حازت الجائزة الاولى فى معرض الادب والفنون .. وأخيرا أجد فتاة جميلة تؤنس وحدتى .. فما الذى أطمع فيه بعد ذلك .. ؟ ألست من رأيى فى أن الحياة جميلة حلوة ..؟

ولقد دار هذا الحديث بينهما وهما جالسان فى المسكن الجديد الذى اتخذه تمبلار لنفسه منذ بضعة شهور .

ونظر الى جيل وقال :

— ولكن خبرينى .. ما الذى دهاك ..؟ انى أرى فى عينيك نظرة تدل على الذهول . فهل انت عاشقة أم مصابة بعسر الهضم ..؟

فابتسمت وقالت :

— انى أفكر فى اللورد اسدين .

— اذن فانت عاشقة .. ولكن يحسن بك أن تقلعى عن هذا التفكير . لقد انقضت أربع وعشرون ساعة ونحن لا نفكر الا فى هذا الرجل . فمن حقنا الان ان نرتاح قليلا لقد صدر الامر بالتعبئة فليس علينا الان الا أن ننتظر الاشتباك فى المعركة .

— وهل تتوقع هذه المعركة ..؟

— هذا أمر لا شك فيه .

— مجرد تخمين قد يخطىء وقد يصيب .

— بل سيصيب ولن يخطىء . اسمعى . لقد تحديناه فليس أمامه الا أن يسلك احدى السبل الاتية : أولا — أن ينتظر حتى نبدأه بالهجوم .. ثانيا — ان ينتحر ليتخلص من هذا المأزق . ثالثا — ان يدبر لنا مكيدة سرية . أما عن

الطريق الاول فلا أظنه ينوى أن يسلكه ، فاذا سلك الطريق الثانى فقد أراحنا من متاعب ومشقات كثيرة .. أما اذا سلك الطريق الثالث ...

فقالت الفتاة :

ـ نعم .. ماذا يحدث اذا سلك الطريق الثالث ؟

ـ اوقع نفسه في شر اعماله ومكننا من الانتقام منه بلا رحمة ومال اليها تمبلار وتفرس فى عينيها وقال :

ـ جيل انى أراك قلقة وعهدى بالقلق لا يعرف اليك سبيلا فهل بدأت اعصابك تخونك .. ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ الحق ان الخوف بدأت يتسرب الى نفسى . انى احس بموجة من التشاؤم تجرفنى وتستولى على . انك تعلم انى قد افلحت حتى اليوم فى الفرار من تبعات اعمالى فهل تعتقد ان الحظ سيظل حليفى حتى النهاية ؟ لكل انسان كبوة . وانى اتنسم فى الجو رائحة شر سيحيق بى .

فقال القديس :

ـ لن يخونك الحظ وانا الى جانبك .

وساد الصمت برهة طويلة ثم تكلمت الفتاة قائلة :

ـ اتعلم انك آخر مخلوق كنت اتصور انه سيصبح شريكا لى .. ؟

ـ لست استغرب هذا .

ـ ومع ذلك . انك تذكر طبعا يوم ذكرتنى بذلك ، الطفل ، الذى فى الولايات المتحدة كما وصفته ؟

كانت هذه الاشارة من طعنة صائبة اهاجت شجونى وانى اعتقد انى استحق هذه الطعنة التى سددتها الى !

ـ انك تستحقينها .

وتنهدت الفتاة واسترسلت قائلة :

ـ لقد اثارتنى هذه الذكرى وجعلتنى احن الى العودة

الى الولايات المتحدة واندم على الجرائم التى ارتكبتها .

ـ ولكنك على رغم هذا الندم ارتكبت جريمة جديدة فافرغت مسدسك فى استيفن ويلد .

ـ لو انك كنت فى موقفى لفعلت ما فعلته انا

ـ هذا صحيح .. ولكننى كنت أرجو ان نتركه حيا لانتزع منه اعترافا يكشف سر هذا الحادث القديم .

ـ انى اعترف بان تعجلى بقتله غلطة منى .. ولكنى عجزت عن ضبط أعصابى حين سمعته يعترف بأن له يدا فى تلفيق التهمة ضد أبى

فابتسم تمبلار وقال :

ـ لقد قاربنا النهاية على أى الاحوال

ـ أرجو ذلك .. فانى متلهفة للعودة الى الولايات المتحدة

وساد الصمت .

ولكنه كان صمتا حافلا بما هو ابلغ وافصح من الكلام .. كانت نظراتها تفيض رقة وعذوبة .. لم تكن تبكى .. ولكنها عينيها كانتا تنتحبان بما يشبه العبرات . كانت وجنتاها ملتهبتين ونظراتها متألقة كانت على صورة لم يرها لها تمبلار من قبل .

واطفأ تمبلار سيجارته وقال :

ـ اتعلمين ان الليل قد انتصف ؟ وان امامنا يوما متعبا ؟!

فشكرته بابتسامة عذبة واوت الى مخدعها ولكنه لبث جالسا الى جوار المدفأة يدخن .. ويفكر .. وينظر الى النيران المتأججة

وانتبه بغتة على جرس الباب وهو يرن بشدة .

لم يكن القديس يتوقع زيارة من أحد .. وكان يعرف من تجاربه السابقة ان الباب لا يقرع بمثل هذه الشدة الا اذا

كان الزائر ضيفا غير مرغوب فيه . ولكن على رغم علمه بذلك فتح الباب وقد تألقت على شفتيه ابتسامة لطيفة .

وهتف تمبلار وقد تنحى عن الباب ليفسح لزائره طريقا للدخول :

ــ عجبا . ! المفتش تيل . !

فأجابه تيل فى بلادة

ــ نعم أنا تيل اذا كنت لا تعرفنى .

ــ وهل فى الدنيا من لا يعرف اعظم شرطى سرى .

والتمعت عينا القديس تهكما واستخفافا .

ودخل تيل قاعة الاستقبال وتبعه القديس وقال هذا :

ــ أية خدمة استطيع ان اسديها اليك ؟ أجئت تسألنى هبة بمناسبة فوز قصيدتى بالجائزة الكبرى ؟ أم جئت تسألنى قرضا ؟

فلم يعبأ تيل بهذا المزاح وقال فى كلمات بطيئة .

ــ تمبلار لقد بلغنى أنك عدت كما كنت .. طفلا شريرا « شقيا » فهز القديس رأسه وقال فى براءة .

ــ ليس انا ياكلود لاشك انك تقصد طفلا آخر .. انى اعترف حقيقة باتى ذهبت الى باريس ولكن ..

فحملق فيه تيل وقال :

ــ نعم لقد حدث بعض ما أشير اليه فى باريس .

واسند القديس ظهره الى الجدار وابرقت عيناه جذلا وقال :

ــ ولكن ما الذى حدث ؟

ــ فى باريس دسست مخدرا فى كأس اللورد اسندين ثم سلبته ربع مليون فرنك وقبل ذلك .. فى الوقت الذى كنت تشتغل فيه بوليسا سريا تخليت عن واجبك وسهلت الفرار لامرأة يطلبها البوليس لارتكابها جريمة القتل .. ليس فى وسعك يا سيمون أن تستمر على هذه الفعال .

وانى أخشى أن يكون الوقت قد حان لمضايقتك .

ــ وما الذى تبغيه منى ؟

فنظر اليه تيل برهة ثم قال :

ــ خير ما افعله ياسيمون انك تأتى دائما فى هدوء .

فحك القديس جبينه مفكرا وقال فى حيرة :

ــ ما معنى قولك « تأتى فى هدوء » ؟

ــ تأتى للنزهة مشيا على الاقدام .. او فى سيارة اذا شئت يؤسفنى انى مضطرك الى الخروج فى مثل هذا الوقت .. ولكنى جئتك فى ساعة مبكرة فوجدتك غائبا . واخشى ان ارجىء الامر حتى الصباح فلا اجدك ثانية .

ــ والى اين تنتهى بنا هذه النزهة يا ترى ؟

فكان جواب تيل ان قال فى اقتضاب :

ــ السجن طبعا .. هل تأتى ؟

فقال تيل فى بطء :

ــ سيمون تمبلار انى اقبض عليك بتهمة ..

ــ دعنى أر الامر

ــ أى أمر ؟

فابتسم القديس وقال :

ــ الامر بالقبض على طبعا

ــ انى لم استصدر امرا

ــ هذا ما ظننت .. وكيف تنوى ان تقبض على ما دمت لم تستصدر امرا ؟

ــ انى استطيع ايقافك

ــ انك لا تستطيع .. ان الايقاف لمن يرتكب عملا مخلا بالنظام او القانون فيقاد الى السجن ريثما يتم التحقيق .. وهذا لا ينطبق على .. انى فى مسكنى هادىء ساكن كأى رجل محترم .. انك تحاول ان تهوشنى ياتيل وكان ينبغى ان تعرف ان القديس ليس ممن يخدعون

فقطب تيل جبينه وقال :

— في باريس اقدمت على . . .

— في باريس سرقت من اللورد استدين ربع مليون فرنك . هذا صحيح . اني اعترف بذلك ويمكنني ان اسجل هذا الاعتراف كتابة اذا راقك الامر .. ولكنك عاجز ان تفعل شيئا حيالي بسبب هذه الجريمة .. انها جريمة بشعة .. ولكنها وقعت في أرض فرنسية فهي من شأن البوليس الفرنسي وحده . وانا الان في انجلترا والقانون لايبيح لك ان تقبض على انجليزي لتسلمه الى دولة أخرى بسبب جريمة ارتكبها في اراضي تلك الدولة . اني آسف يا عزيزي كلود اذ خيبت رجاءك ولكن عزاءك انك تلقيت على القديس درسا في القانون الدولي .

— وفي برمنجهام . ؟

فقال تمبلار مقاطعا بنفس البساطة .

— في برمنجهام أطلقت فتاة تدعى جيل تريلوني النار على رجل يدعى استيفن ويلد أو ولدسن بعبارة أخرى فاردته قتيلا اما ارتكابها هذه الجريمة عمدا او بسبب الدفاع عن النفس فأمر متروك تقديره الى المحلفين . وان كنت اعتقد ان هادي دونيل قد اسمعك شهادة غير صحيحة . ومع ذلك فقد اديت واجبي بصفتي من رجال البوليس السري وقبضت على الفتاة . وقد ظننت اني جردتها من السلاح ولكن حينما تحركت بنا السيارة رأيتها تبرز فجأة مسدسا آخر غير الذي انتزعته منها وتصوبه الي . ثم ارغمتني على أن أركب معها القطار ولما اقتربنا من لندن وابطأ القطار في سيره بسبب اصلاح في الطريق ارغمتني على الوثوب منه معها . ولست أدري ماالذي حدث بعد ذلك ولكن من المؤكد اني ظللت فاقد الوعي بضع ساعات الى جوار شريط السكة الحديد .

فقال تيل في شيء من التهكم :

— يا لها من قصة !

فابتسم تمبلار وقال :

— كل ما هنالك انني أردت ان أقدم اليك عينة من دفاعي .. وأمام هذا الدفاع المعقول لا يمكن ان اعد شريكا للقاتلة الهاربة .. ولاشك ان مدير البوليس قد تسلم في نفس اليوم كتاب استقالتي الذي أوضحت له فيه ماحدث واختتمته بأني لشدة خجلي لم استطع أن أقابله بنفسي . نعم ياتيل يجب أن اعترف بأني قد برهنت على أني اغبى رجال البوليس واشدهم جبنا ولكن ماحيلتي وأنا أرى حياتي مهددة بهذا المسدس الذي تصوبه الى تلك القاتلة التي لا ترحم ! .

واخرج تيل ورقة من جيبه قدمها الى تمبلار وهو يقول :

— وما رأيك في هذه ؟ هل هي ايصال بما استلمته من اللورد استدين ؟ هذا الاسم مفهوم . انه اسمك . ولكن مامعنى هذا الرسم الكاريكاتوري الذي يمثل امرأة ؟

— انها صورة زوجتي !

— حقا اذن فقد تزوجت ومتى كان ذلك بالله عليك ؟

— اني لم اتزوج بعد .. ولكنني احلم بالمستقبل .

وساد الصمت برهة ثم تكلم تيل قائلا :

— اذن فهذه هي حكايتك ؟

— اتنكر انها حكاية طريفة تستحق الجائزة الاولى ؟

— ولم اتخذت هذا البيت الجديد ؟

— ومنذ متى يحرم القانون على الناس ان يتخذوا بيوتا جديدة . ؟ ولكن الشيء الذي يدهشني هو اهتداؤك الى هذا البيت بمثل هذه السرعة .

— اني على علم به منذ شهور فلما ذهبت اليوم الى منزلك في حي مايفير ولم أجدك حضرت الى هنا توا .

فضحك تمبلار وقال :

— وبعد ذلك ستذهب الى منزلك توا . لتنام توا . على ان لاتستيقظ توا . والآن هل تحب أن تنصرف ثم لاتزال بك رغبة الى الجدل والنقاش ؟

ساد الصمت برهة طويلة ثم تكلم المفتش تيل قائلا :

— انك ولد ذكي ياتمبلار .

— اني اعرف ذلك .

وجال تيل بنظره في ارجاء الغرفة في بلادة وخمول فقال له القديس في لهجة تنطوى على العطف :

— يؤسفنى انك ضيعت وقتك سدى .. لا تدعنى استبقيك طويلا ما دمت تتعجل الانصراف .

فقال تيل في هدوء :

— انى لست مستعجلا .

واذ ذاك استقرت عيناه على المقعد الذي كانت جيل فريلونى جالسة عليه ففطن الى اثر جلستها فى تغضن القماش وقال :

— أكنت تستقبل صديقا ؟

فاجابه القديس في اخلاص ؟

— نعم .. جدتى ايثل .. ولقد انصرفت قبيل حضورك بدقائق، لو انك تقدمت قليلا لوجدتها .. ولكنى ارجو أن اقدمك اليها في يوم آخر .

— وكم عمر جدتك ايثل ؟

— خمسون سنة .. انى اعتقد انها اصغر سنا من أن تليق للزواج بك ولكن يمكنك ان تجرب حظك على اى الاحوال فهل تحب ان ارسل اليك عنوانها .

وعبر المفتش تيل الغرفة وتناول بسرعة حقيبة اليد الموضوعة على المقعد وأخذ يقلبها بين يديه وهو يقول :

— ان لجدتك ذوقا شاذا في اختيار الحقائب .. انها

مولعة فيما أرى بالالوان الزاهية البراقة .

— كم قلت انها تبلغ من العمر ؟

— مائة وخمسون سنة . !

وفتح المفتش تيل الحقيبة واخذ يفحص محتوياتها فاخرجها تباعا ووضعها على المنضدة فكانت اصبعا احمر لصبغ الشفاه . وعلبة بودرة ، ومشطا ومنديلا حريريا مطرزا .. وعلبة سجائر .. وقلما من الذهب ، وبطاقات .

وقرأ تيل احدى هذه البطاقات في صوت مرتفع قائلا :

— الاميرة سلينا فون رويرخت .. من أين جاءت ؟

— لتوانيا .. ان لى اقارب من علية القوم في تشيكوسلوفاكيا أيضا .

فالقى تيل الحقيبة على المقعد وهو يقول :

— انى أحب أن أقابل الاميرة .

— بل قل الجدة .. انها تحب أن يناديها الناس بهذا اللقب .. ولكنك لن تستطيع أن تقابلها الليلة لانها رجعت الى دارها .

— ولكنها ستعود لتسترد حقيبتها .. وسانتظرها .. وفي فترة الانتظار ساتسلى بتفتيش باقى الغرف .

فقال تمبلار في لهجة خشنة :

— انك لن تنتظر لانى اريد أن انام . واحب قبل أن آوى الى فراشى أن أشيعك الى الباب .. ولن تفتش هذا البيت ما دام ليس لديك أمر بالتفتيش .

فقال تيل في عناد :

— ان لدى مايحملنى على الاعتقاد بأنك تؤدى تحت سقف بيتك امرأة هاربة من وجه العدالة .

— قلت لك انك لا تحمل أمرا بالتفتيش فلا تكن مجنونا .. قد تكون لى سمعة مريبة ولكنى لم ارتكب ما

اؤاخذ عليه .. أما حادث باريس فليس من شأنك ما دام قد وقع خارج حدود هذه البلاد .. فاذا حاولت أن تفتش هذا البيت منعتك بالقوة .. بل قذفت بك الى الطريق من أعلى السلم .. حقيقة ستحاكمونني بتهمة الاعتداء عليك فاغرم بضعة شلنات ولكنهم سيحاكمونك انت ايضا بتهمة اقتحامك البيوت بلا مبرر قانونى .. فاحذر لنفسك ياعزيزى كلود فقد بدأت أتضايق .

فهز تيل رأسه قائلا :

ـ سأعود بعد ساعتين ومعى أمر بالتفتيش وبالقبض على الفتاة .

ـ الى اللقاء اذن .. واياك أن تعود الى مضايقتى الا اذا كان هذا الامر فى جيبك .. طاب مساؤك .

فمشى تيل الى الباب وهو يقول :

ـ انك ولد ذكى .. ولكنى سأرجع بعد ساعتين .

فقال تمبلار فى خشونة :

ـ طاب مساؤك !

ودفع الباب فى وجه المفتش تيل .

وحين رجع الى القاعة وجد الفتاة تعيد حوائجها الى حقيبتها فقالت له :

ـ لقد سمعت كل شيء .

ـ وبعد خمس دقائق سيقيم تيل أحد رجاله عند الباب لمراقبة البيت ريثما يعود بالامر .

وارتفع من الطريق فى هذه اللحظة صوت صفارة البوليس الحادة فابتسم القديس وقال :

ـ ان تيل لا يحب أن يدع الفرصة تفلت من يده .. ثم يشأ أن يذهب ليأتى بأحد رجاله وانما وقف عند الباب حتى يأتى اليه الشرطى تلبية للصفير .. انه يريد أن يستوثق من أن من فى البيت لن يغادروه أثناء غيبته ..

وبعد ساعتين سيعود ومعه أمر بالقبض عليك .

فأحنت الفتاة رأسها وقالت فى عذوبة :

ـ بتهمة القتل .. !

الفصل الثانى عشر

أخرج تمبلار علبة سجائره وتناول منها سيجارة وهو شارد الذهن فاشعلها وأخذ يدخن فى استغراق . وارسل بصره الى صورة معلقة على الجدار ولكنه لم يكن يرى شيئا منها . وكانت ابتسامته تتراقص على شفتيه . وكانت ابتسامته خطرة رهيبة ! ثم نظر الى الفتاة ..

كان جمالها هادئا ساكنا .. لم تبد بادرة من الخوف أو القلق .. لا فى ارتعاد شفة ولا فى اختلاج عين .

ومع ذلك فقد كان الموت يحوم فوق رأسها .. وكان لابد من عمل شيء لانقاذها .. والا أطاح الجلاد بهذا الرأس الجميل .. وخبت العينان المتألقتان .

وشق السكون صوت صفارة المفتش تيل للمرة الثانية .

وضحكت جيل تريلونى .. ولم تكن ضحكة عصبية أو ضحكة هازئة .. لقد ضحكت .. وكانت ضحكتها رقيقة .

وأزاحت الفتاة معطفها فظهر مسدسها المعلق فى منطقتها وقالت :

ـ هذا هو الحل .. الوحيد .

فاقترب منها تمبلار وأمسك برسغها وقال فى صوت جاف :

ـ ليس هذا هو الحل الوحيد .

وتلاقت نظراتهما .

وتكلمت الفتاة قائلة :

ـ انه الحل الوحيد فى نظرى . انى لا احب المحاكمات .. ولا المشانق .. ولا الجلادين .. تصور القسيس وهو يدخل على فى كل صباح لكى يسألنى ان أعترف قبل أن أصعد الى السماء او أهبط الى الجحيم .. كلا ياعزيزى .. هذا المسدس هو الحل الوحيد .

فقال القديس فى خشونة : انك تهذين .

ـ لست أهذى .. وأنت تعرف ذلك .. اذا لم يكن من الموت بد فاقتلنى ...

ـ ومن أنبأك أنه ليس من الموت بد ؟

ـ الا تعتقد هذا ؟

ـ كلا .. لن تموتى .. مادمت الى جانبك .

وضحكت مرة أخرى .. وهمست : سيمون .. ما أظرفك !

ـ ألم تكتشفى ذلك الا الآن ؟

وهكذا استطاع أن يجعلها تبتسم .

ومشى تمبلار الى النافذة وأطل منها فرأى احد رجال الشرطة منتصبا عند الباب وهو يرفع رأسه الى النوافذ من لحظة الى أخرى .

والتفت تمبلار الى الفتاة وقال :

ـ لقد انصرف المفتش تيل ليعود بأمر القبض عليك ولكنه أقام احد رجال البوليس عند الباب حتى يطمئن الى عدم افلاتك .

وذهب تمبلار الى مخدعه ثم عاد يحمل معطفا ووسادة وعصا وقال للفتاة : قفى فى هذا الركن من الغرفة ولا تبرحيه .

فأطاعته دهشة .. وأدنى تمبلار مقعدا كبيرا من النافذة ثم وضع الوسادة داخل المعطف ، وأجلسهما على المقعد . ثم قال للفتاة :

ـ والآن .. أين قبعتك ؟

فقدمتها اليه فوضعها فوق العصا ثم وضع العصا داخل المعطف بحيث صارت القبعة فى أعلاه .

وبعد ذلك أتى بمنضدة صغيرة ووضعها الى جوار المقعد وفوقها مصباح متحرك ثم أخذ يرقب هذه الاشياء برهة ويزيح بعضها يمينا وبعضها شمالا مسافات قصيرة ثم أضاء المصباح المتحرك ثم قال للفتاة : والآن أطفئى مصباح الغرفة .

فلما فعلت ما أمرها به كان الضوء الوحيد الذى بقى فى الغرفة هو المنبعث من المصباح الموضوع فوق المنضدة .

ـ والآن أطفئى مصباح الغرفة .

وابتسم تمبلار وقال :

ـ الظل الذى على الستار .. رواية بوليسية فى ثلاثة فصول .. وهذا هو الفصل الاول .

فنظرت اليه قائلة : والفصل الثانى ؟ الفرار من سلم الخدم ؟

ـ كلا .. فليس فى هذا البيت سلم للخدم .. الفصل الثانى هو الفرار من الباب العمومى .

وناولها حقيبتها وخرج بها الى الردهة وهو يقول :

ـ ضعى على رأسك قبعة أخرى .

وبعد بضع دقائق كانا يهبطان الدرج حتى اذا بلغا الردهة السفلى قال تمبلار :

ـ اهبطى السلالم المفضية الى البدروم وقفى متوارية عن الانظار فاذا ما سمعتنى أصعد السلم مرة أخرى فاصعدى بدورك واخرجى من الباب العمومى واذهبى مباشرة الى فندق كريلون وانزلى هناك باسم مسز

جوزيف هاليداي من مدينة بوسطن ٠٠ أما زوجك مستر جوزيف هاليداي ـ أعنى أنا نفسى ـ فسيصل فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ٠

فقالت الفتاة تسائلة : والفصل الثالث ؟

ـ أما الفصل الثالث فسيكون حديثا طريفا يدور بينى وبين المفتش تيل ٠٠ طاب مساؤك ياجيل ٠

ومد اليها يده يصافحها فتناولتها وقالت :

ـ سيمون ، انك ولد ذكى ٠٠ !

فضحك وقال : وهذا هو رأى المفتش تيل أيضا ٠

ثم تركها تهبط السلم المفضى الى البدروم وذهب الى باب المنزل العمومى ففتحه فاستدار اليه الشرطى حين سمع صرير الباب فقال له تبلار فى لهجة تدل على القلق : ياكونستابل ؟

ورآه الشرطى رجلا محترما فقال : نعم ياسيدى ٠٠ ؟

ـ يظهر أن هناك شيئا غريبا يجرى فى الشقة التى تحتى ٠

فقطب الكونستابل جبينه وقال :

ـ فى أى طابق تقيم أنت ياسيدى ٠٠ ؟

ـ الثانى ٠

فتأمل الكونستابل برهة مظاهر الاضطراب الظاهرة على وجه تبلار وفى حركاته ثم أوما باصبعـــه الى الاعلى ٠٠ الى نافذة فى الطابق الاول يبدو على ستارها خيال معتم وقال :

ـ فى هذه الشقة توجد ياسيدى امرأة يريد البوليس أن يقبض عليها بتهمة القتل ٠

فحملق القديس الى الشقة التى أشار اليها الكونستابل وقال وقد اتسعت حدقتاه دهشة وخوفا : ولماذا لا تقبضون عليها ؟

ـ لقد ذهب المفتش ليأتى بأمر القبض . وأقامنى هنا للمراقبة . فما الذى سمعته يجرى هناك فى هذه الشقة ؟

ـ سمعت تأوهات وأنات ٠٠ وقد استمر ذلك بعض الوقت . كان هناك شخصا يحتضر .. فلما اشتد بى القلق نزلت الى ذلك المسكن ودققت جرس الباب ولكنى لم أسمع جوابا ٠

فقال الكونستابل : أنصت ٠٠ !

وأنصت الاثنان ٠٠ ثم قال الكونستابل : انى لا أسمع شيئا ٠

ـ طبعا ٠٠ فالمسافة بعيدة والنافذة موصدة كما ترى ٠٠ وهذه التأوهات خافتة ٠٠ ولكن من السهل أن تسمعها اذا صعدت معى وأنصت عند باب المسكن ٠

وجعل الشرطى يتأمل الخيال المنعكس على الستار ثم قال :

ـ انها جالسة على مقربة من النافذة ٠٠ هذا هو ظلها ٠

فقال تبلار فى صوت خافت كمن يحدث نفسه :

ـ ولكنها جامدة لا تتحرك ٠٠ ألا تلاحظ ذلك ؟

ومضى الاثنان يحملقان برهة من الوقت ثم قال الشرطى :

ـ هذا عجيب ٠٠ ! انى حقيقة لم ألاحظ ذلك الا بعد أن لفت أنت نظرى .. انها لم تتحرك ولا نصف بوصة طول هذا الوقت الذى نراقبها فيه ٠

فقال القديس فى لهجة تدل على الانزعاج :

ـ الحق يا كونستابل ان القلق أخذ يستولى على ٠٠ لو أنك سمعت هذه التأوهات ٠

ـ ولكنى لا أسمع شيئا من هنا ٠

— أما أنا فقد سمعتها بوضوح أمام باب المسكن ٠٠ اتعرف هذه المرأة انكم تنوون أن تقبضوا عليها ؟
— نعم ٠٠ انها تعرف ذلك ٠
فهز القديس رأسه وقال : ومن الجائز انها فكرت فى الانتحار ٠
فمط الكونستابل عنقه كأنما يريد أن يبلغ حافة النافذة ثم قال :
— يظهر انه لابد لى من أن أتأكد مما يجرى فى داخل المسكن ٠٠ لقد امرنى المفتش بأن لا اتحرك من مكانى هذا مهما كان السبب ٠٠ ولكن اذا كانت حقيقة قد عمدت الى الانتحار فانه يحسن بى ٠٠
فقال تمبلار مقاطعا : انها لم تتحرك !
— هذا صحيح ٠
— ان تركك مكانك هذا لن يترتب عليه أى ضرر ٠٠ لاننا فى الواقع سنصعد الى باب مسكنها ٠ والمراقبة هناك اجدى وأدق ٠
فقال الشرطى مزمعا : هذا صحيح ٠٠ هيا بنا ٠
ودخل الاثنان الى المنزل واخذا يرتقيان السلم المؤدى الى الطابق الاول ٠ وفى نفس الوقت صعدت جيل تريلونى من البدروم وخرجت الى الطريق ٠
ووقف تمبلار والكونستابل عند باب المسكن ينصتان مرهفين الاذان ولكنهما لم يسمعا شيئا ٠ فقال القديس :
— من الجائز انها ماتت فعلا ٠
فوضع الشرطى اصبعه على زر الجرس وضغطه ٠
ومرت دقيقة كاملة ٠٠
ثم عاد الشرطى يدق الجرس للمرة الثانية ولكن دون جدوى ٠

فسعل تمبلار وقال : الا يمكننا أن نحطم الباب ٠ ؟
فهز الشرطى رأسه وقال :
— ما دامت قد ماتت فلا فائدة من الاستعجال ٠٠ فلننتظر حتى يعود المفتش فانه لن يتأخر كثيرا ٠٠ سأرجع الى مركزى عند الباب لانتظره ٠
فقال تمبلار :
— اما انا فسأصعد الى مسكنى فى الطابق الثانى فاذا احتجتم الى فاستدعونى ٠
— ان المفتش سيطلب مقابلتك طبعا ٠٠ فما هو اسمك يا سيدى ٠ ؟
فقال تمبلار فى لهجة جدية :
— اسندين ٠٠ اللورد اسندين ٠٠ ان المفتش يعرفنى ٠
ونزل الكونستابل على حين صعد تمبلار الى الاعلى ٠ ولكنه ما لبث ان استدار على عقبيه ونزل ثانية حين اطمأن الى ان الكونستابل لن يراه ٠ فدخل مسكنه الذى يقع فى الطابق الاول والذى ينعكس الخيال على ستار احدى نوافذه وجلس على احد المقاعد وتناول كتابا واخذ يقرأ ٠
وبعد ساعة ونصف انتبه على رنين الجرس ٠٠ ولما فتح الباب وجد على عتبته المفتش تيل وخلفه الكونستابل ٠
وحين رآه الكونستابل حملق فيه كأنما يرى امامه شبحا وهتف قائلا : هذا هو الرجل يا سيدى ٠ !
فقال المفتش تيل مزمجرا : لقد ادركت ذلك على الفور ايها الغبى بمجرد أن ذكرت لى انه يدعى اللورد اسندين ٠
ودخل المسكن منقضا كالصاعقة ٠ والكونستابل فى اثره فلما اقترب من المقعد الذى تجلس عليه الدمية ذات الظل الساقط على الستار صاح بالشرطى : انظر ايها

القبى ٠ !

ونظر الكونستابل ٠٠ وعرف السر فى الخيال الذى رآه على الستار من الخارج :

– لقد خدعك ٠٠ وفى الوقت الذى صعدت فيه الى المسكن لتسمع تأوهات المرأة التى انتحرت كانت جيل تريلونى قد انسلت من البيت ، ومع ذلك فانت شرطى ٠ !

وابتسم تمبلار وسعل ولكنه لم يقل شيئا ٠٠ فتحول اليه تيل وعيناه ترميان بالشرر ثم صاح : تمبلار ٠ لقد قلت لك انك ولد ذكى ٠ !

فقال القديس فى بساطة : وهكذا قالت جدتى ايضا ٠

الفصل الثالث عشر

امضى القديس بقية ليلته مستغرقا فى النوم ولم يحاول المفتش تيل أن يتخذ ضده اى اجراء اذ كان يعلم انها تهمة غير مجدية .

حقيقة ان سلوك القديس كان غريبا شاذا ٠ ولكن ليس فى القانون نص يعاقب على الغرابة والشذوذ ٠٠ لقد كذب تمبلار .. هذا صحيح .. ولكن الكذب ليس جريمة معاقبا عليها ٠٠ وليس من الاجرام ايضا ان يجلس الانسان دمية على المقعد لتلقى خيالها على ستار النافذة ٠٠ وليس فى القانون ما يحرم على القديس أو غير القديس أن يدعى ان جدته أميرة لتوانية مدام لم يفعل ذلك بقصد الغش والاحتيال ٠

وهكذا رجع تيل الى داره وترك القديس يستغرق فى النوم ٠

ان الشبهة ليست دليلا . هذا مبدأ قانونى لانزاع فيه .. فمهما أحاطت الشبهات بالقديس فمركزه ثابت غير

مزعزع ٠

لم ير احد الاميرة سليناڤون روبرخت ٠٠ وليس فى وسع احد ان يبرهن على انها تدعى جيل تريلونى ٠٠ فمن المستحيل اذن ان يقدم تمبلار الى المحاكمة بتهمة تهريبه امرأة قاتلة ٠٠ وكان المفتش تيل يعرف هذه الحقائق حق المعرفة فلم يشأ أن يتعرض للقديس حتى لا يجعل من نفسه هزأة للعيون ٠

ولكن القديس كان يعرف على الاقل ان المفتش تيل لن يتركه فى سلام بعدما حدث ٠ فلما استيقظ فى صباح اليوم التالى وهم باللحاق بصاحبته الى فندق كريلون وجد اثنين من رجال البوليس السرى يرقبان البيت ٠٠ ولكنه تظاهر بأنه لم يرهما ٠ ومشى دون أن يتلفت خلفه وان كان موقنا من ان احد الرجلين يتعقب خطواته .

وماكانت هذه العقبة لتحول دونه وتناول طعام الفطور مع زوجته مسز جوزيف هاليداى من مدينة بوسطن ٠ ولذلك خرج قبل الموعد المحدد بنصف ساعة حتى يتفسح له الوقت للتخلص من هذا المراقب العنيد . وفعلا تخلص منه ٠ !

وعندما وصل الى الفندق وجد مارسيل فى انتظاره فى قاعة الطعام فاغتنم الفرصة وقبلها .. وليس غريبا بطبيعة الحال ان يقبل المرء زوجته ٠ !

ولما انصرف الجرسون مال اليها تمبلار وقال هامسا :

– انى شديد الاعجاب بقوة احتمال المفتش تيل ٠

– هل انصرف فى هدوء ٠ ؟

– انصرف كأنه حمل وديع ٠

وسرد عليها تفاصيل ما حدث فتمتمت تقول : انك اعجوبة !

اوه . ! ارجوك أن تقتصدى فى الثناء فان الاسراف فيه

يضر قلبى ٠ !

وتناول احدى الصحف فالقى عليها نظرة سريعة فلم يجد ما كان ينشد منها فقالت الفتاة ، ان الوقت لم يتسع له بعد ٠

ـ اذن غدا يظهر الاعلان ٠٠ اتحبين أن نتراهن على ذلك ؟

وامضيا صحابة النهار فى فندق كرايلون بينما كان رجال البوليس يقلبون لندن رأسا على عقب بحثا عنهما دون أن يخطر لاحدهم ان يطرق باب فندق كريلون ليسأل عن مستر ومسز جوزيف هاليداى ٠

وفى صباح اليوم التالى ظهر فى جريدة التيمس اعلان هذا نصه :

« ظلم ـ قد يمكن رفع ظلم كبير اذا تفضلت سيدة لندن بمقابلة شخص يريد أن يسألها الصفح وعلى استعداد لان يعوضها عن ذلك الضرر القديم ـ لورفر لندن » ٠

فلما فرغ تمبلار من تلاوة هذا الاعلان قال :

ـ شىء مؤثر ٠ ! انى اكاد ابكى ٠ !

ـ اتصدقه ٠؟

ـ ان الامر ليس مستحيلا .. انك تقولين ان له يدا فى تلفيق التهمة ضد ابيك .. ونحن نعرف عنه الآن أشياء خطيرة فمن الحكمة ان يحترمنا ويعمل لنا حسابا ٠٠ فليس مستحيلا أن يكون عزمه قد صح على عقد معاهدة سلام بينه وبيننا ٠

فقالت جيل تريلون :

ـ هذا جائز .. ولكنى اعتقد ان فى الامر فخا منصوبا ٠

ـ وهل يجرؤ اللورد استدين على ان ينصب لنا فخا ونحن نعلم من أمره ما نعلم ، ؟ انه يخشى ان يبلغ

البوليس بأنه من كبار مهربى المخدرات فتكون النتيجة خمس سنوات فى الاشغال الشاقة ٠٠ ومع ذلك فعلينا أن نجازف ٠

فقالت الفتاة : بل انا التى سأجازف ٠ سأذهب الليلة لمقابلة اللورد استدين ٠

ـ أين ٠ ؟

ـ فى قصره ٠٠ لقد ذهبت هناك مرة وما زلت اذكر مداخله ومخارجه ٠٠ وانى موقنة انه يتوقع قدومى اذ يعرف انى لن اكتب اليه فى مثل هذا الشأن ٠٠ انه يعرفنى حق المعرفة ٠

فابتسم تمبلار وقال :

ـ وما دام يعرفك حق المعرفة ما من شك فى انه يتوقع المتاعب ٠

ـ طبعا ٠

ـ وسينالها ٠

ورشفت الفتاة جرعة من قدح القهوة وقالت :

ـ منذ عام اقسمت ان اقتل كل رجل كانت له يد فى تلفيق التهمة ضد أبى ٠٠ ولقد بدأت باستيفن ويلد أى ويلدسون ٠٠ والآن جاء دور اللورد استدين ٠٠ فاذا قام الدليل على اشتراكه فى هذه المؤامرة ٠٠ فالويل له ٠ !

فقال تمبلار فى صوت عادىء :

ـ كانت هذه طريقتى فيما مضى ٠ ولكن ٠٠ الا ترين من الاصوب ان تعملى على جمع الادلة التى تثبت براءة ابيك وتعيد اليه اعتباره بدلا من ان تفكرى فى الانتقام ؟

فقالت الفتاة فى صوت عميق :

ـ لقد قتلوا أبى ٠٠ فحق عليهم أن يقتلوا ٠ !

فسكت تمبلار ولم يقل شيئا ٠

وامضيا صحابة النهار يقرآن ويتكلمان فى مواضيع

سخيفة كان ليس فى نيتهما أن يقدما فى نفس تلك الليلة على عمل خطير .

ولما فرغا من طعام العشاء اشعلت الفتاة سيجارة ونظرت الى صاحبها من خلال سحب الدخان ثم قالت :

— سيمون .. يجب أن أشكرك على معونتك لى .

— بل انا الذى يجب ان اشكرك اذ سمحت لى بمعونتك .

فحدجته بنظرة فاحصة وقالت :

— أتعلم انك مقدم على عمل قد يجعلك شريكا لى فى ارتكاب جريمة القتل ..؟

— يسرنى ان أكون شريكا لك .. ولو فى ارتكاب جرائم القتل .

فقالت فى بساطة : اذن جهز مسدسك .

— انى لا أحب المسدسات .. ان لها صوتا مزعجا يصم الاذان .

فضحكت وقالت ، هل انت على استعداد ..؟ اذن هيا بنا .

وكان تمبلار قد أمر ادارة الفندق بأن تستأجر له سيارة فخمة فركبها مع « زوجته » وقد جلس الى عجلة القيادة سائق فى بزة جميلة .

وشاءت الصدف ان يمر المفتش تيل بباب الفندق فى اللحظة التى تحركت فيها السيارة .. لم يكن تيل فى ذلك الوقت يفكر فى سيمون تمبلار او فى جيل تريلونى .. وانما كان يفكر فى انه صرف الشطر الاكبر من مرتبه والشهر لا يريد أن ينتهى .. ! ولذلك ألقى على السيارة نظرة شاردة ورأى وجه جيل وهى تقترب من النافذة لتلقى عقب سيجارتها

وقال تيل فى نفسه فى غير اهتمام :

— انى لا أعرف صاحبة هذا الوجه .

ثم عاد يفكر فى مرتبه الذى نفد !

وحين وصل الى مركز البوليس استدعى مساعده الذى يتولى البحث عن تمبلار وشريكته وقال له : ما وراءك من الانباء ؟

— لا شىء يا سيدى .. لقد قلبنا كل ركن فى باريس فلم نعثر لهما على أثر .. اذا سمحت لى ان أتكلم قلت بانى أعتقد ان القديس وجيل تريلونى (وجرأتهما كما تعلم) لا يمكن أن يختفيا فى أماكن منزوية .. أكبر ظنى انهما يعمدان الى أكبر الفنادق فينزلان فيها .. مثلا فندق رويال .. أو فندق كريلون .. أو ..

ولكن المفتش تيل فتح فمه فجأة فى شكل يدل على البلاهة وقد اتسعت حدقتاه فنظر اليه مساعده مذهولا وقال :

— ماذا جرى ياسيدى ؟ فصاح تيل فى صوت أشبه بالانين :

— فندق كايلون ! يا الهى ! ما أغبانى !

وانطلق يجرى من مركز البوليس كأنه ثور هائج أطلق الى ساحة المصارعة .

حين سمع مساعده يذكر اسم فندق كريلون تنبهت ذاكرته الى غفوتها وذكر الوجه الذى رآه فى نافذة السيارة .. لقد ظن اذ ذاك انه وجه غريب لا عهد له به .. أما الآن فعرف انه وجه جيل تريلونى .

وبعد دقائق كان المفتش تيل فى كريلون .. وان هى الا بعض أسئلة وبعض أجوبة حتى عرف أن مستر ومسز هاليداى هما طلبته المنشودة .

وقال مدير الفندق : انهما أمريكيان وانهما لم يغادرا الفندق الا فى ذلك المساء فى سيارة استأجرها لهما الفندق

خصيصا وقد ذكرا انهما ذاهبان للتريض في الضواحي الريفية ٠

فتمتم تيل في تهكم :

ـ يا لها من رياضة ..! في ليلة من ليالي الشتاء ٠ اني لا اشك انهما سيستمتعان بالمناظر الطبيعية في الظلام اشد الاستمتاع !

فقال مدير الفندق :

ـ لا تستغرب يا سيدي فانهما امريكيان ٠٠ وللامريكيين شذوذ عجيب ٠

فقال تيل وهو يود لو صفع مدير الفندق ٠

ـ نعم انهما امريكيان ! الم يأخذا حقائبهما ؟

ـ كلا يا سيدي ٠

ـ الم يستعيرا شيئا من الفندق ؟

ـ استعارا غطاءين للوقاية من البرد اثناء ركوبهما السيارة ٠

فابتسم تيل وقال :

ـ وفي الغطاءين اخفيا حقائبهما عند الخروج ٠

وباقتحام غرفتيهما ثبت فعلا ان الحقائب اختفت !

فقال مدير الفندق :

ـ اتعني بذلك يا سيدي انهما لن يرجعا ؟

ـ طبعا لن يرجعا ٠٠ لا هما ولا الغطاءان ٠٠ ولن يدفعا اجرة الفندق ٠٠ ولكن لا تستغرب فانهما امريكان وللامريكيين شذوذ عجيب ٠٠!

وعرف المفتش تيل ان القديس وصاحبته لابد ان قد ذهبا الى قصر اللورد استدين الذي يقع في ضواحي لندن البعيدة ٠ فحاول ان يتصل به تليفونيا لينذره ٠ ولكنه انبيء بان الخط مقطوع ٠ فلم يكن امامه الا طريقة واحدة : هي ان يستقل احدى السيارات ويذهب بنفسه

الى القصر ٠

ولقد فعل ذلك وان كان يعلم ان خصميه تقدما عليه بما لا يقل عن ساعتين ٠

الفصل الرابع عشر

في تلك الليلة كان اللورد استدين قد دبر الامر بحيث ارسل زوجته الى مسرح الاوبرا في رفقة احد اصدقائه وصرف خدمه ليقضوا الليلة خارج القصر لانه يحب ـ كما قال لهم ـ ان يجعلهم يستمتعون بليلة يمضونها بين اهليهم وابنائهم ٠ ولكنه في الحقيقة اراد ان يخلي القصر ممن فيه حتى يتسنى له ان يستقبل اصدقاءه الاربعة على انفراد دون ان يزعجهم احد ٠

اما هؤلاء الاصدقاء الاربعة فهم اورني الملقب بالبرق .. وجانيه الملقب بالثعبان .. وهارق الملقب بالدموي ٠٠ وتيدي الملقب بالجبار ٠

فهم كما ترى تشكيلة من ابدع تشكيلات القتلة والمجرمين ٠

وقال لهم اللورد استدين للمرة العاشرة بعد الالف ايضـا :

ـ هل انتم على استعداد ؟

واجابوه للمرة العاشرة بعد الالف ايضا بانهم على اتم الاستعداد !

ولكن تيدي الجبار اردف قائلا :

ـ لقد سئمنا سماع هذا السؤال فلا تنطق به بعد ذلك

وقال اللورد استدين مستطردا :

ـ ان عددهم اثنان فيما اعتقد .. وما اعرفه عنهما يجعلني اعتقد انهما سيدخلان من الباب العمومي ويدقان الجرس شأن كل زائر محترم ٠٠ ولكن المواقف التي

عينتها لكم حول القصر تجعل من المستحيل عليها على اى الأحوال الدخول من النوافذ دون أن يراها احد منكم .. واجراس الانذار مبثوثة في كل مكان .. فالاتصال بينكم سهل جدا .. انى ادع اليكم الرجل تفعلون به ما تشاءون .. اما الفتاة فاحضروها الى .

وكانت هذه هي المرة الرابعة او الخامسة التي يرفع فيها اللورد هذه التعليمات ونظر في ساعته وقال :

ـ اظن انه يحسن بكم ان تذهبوا الى مراكزكم ؟

فنهض جانيه الثعبان وهو يقول :

ـ هيا بنا ..

ـ ولكن هارفى الدموى لبث فى مقعده جامدا لا يتحرك وقد اتجه ببصره الى نافذة فى القاعة عليها ستار مسدل .

واستدار الاخرون فى حدة الى الخلف ونظروا الى النافذة التى كان هارفى ينظر اليها وقال له أحدهم :

ـ ماذا جرى !

فأشار هارفى بقبضته الضخمة الى النافذة وقال :

ـ هل اغلقت هذه النافذة ؟

فأجابه اللورد استدين :

ـ طبعا اغلقتها

ـ اذن فانت لم تغلقها جيدا !

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد انها الان مفتوحة

وفى بضع لفزات كان هارفى الجبار عند النافذة وقد احتضن الستار بين ذراعيه القويتين وجذبها فى عنف فنزعها من مكانها ورجع بها الى وسط الغرفة .

ورأى الحاضرون ان فى الستار رجلا .

وفى غمضة عين كانت هناك ثلاثة او اربعة مسدسات مصوبة الى هذا الدخيل !

وكان الرجل طريحا على الارض والخوف باد على وجهه القذر الملوث بالتراب والاوحال وزاد فى بشاعة منظره تلك العين السوداء التى تدل على ان من لكمه يحسن اصابة الهدف .

وكان الرجل يرتدى اسمالا بالية ممزقة وحول عنقه منديل احمر كبير قذر وفى قدميه حذاء ضخم ملطخ بالاوحال .

وصاح به اللورد استدين قائلا :

ـ من أنت ؟ ماذا تريد ؟

فأجابه الرجل فى صوت ضعيف وفى تلك اللهجة العامية التى يستعملها الرعاع : انى لا اقصد شرا ياسيدى .

فامسك هارفى بخناق الرجل وانهضه واقفا وهزه بعنف قائلا :

ـ ما اسمك ؟

ـ فاجابه اللص فى خوف

ـ جورج .. البرت جورج .

ـ وماذا كنت تعمل هنا ؟ تكلم

فقال جانيه الثعبان :

ـ دعه ولا تضيع وقتنا فلا شأن له بما نحن فيه .

فقال اللورد استدين :

ـ وما أدراك ؟ من المحتمل ان يكون هذا الدخيل احد رجاله ومهما يكن من امر فلا تنس انه سمع حديثنا .

فعاد هارفى يهز الاسير فى عنف ويقول مزمجرا :

ـ ما الذى سمعته من حديثنا ؟

فقال جورج وهو يرتعد فى لهجة الرعاع :

ـ لم اسمع شيئا ياسيدى

فصاح اورتى البرق :

— انت تكذب ايها الشيطان .

— اقسم انى لا اكذب ، اقسم انى لم اسمع شيئا .

ملوح هارق بقبضته وهو يقول :

— ساعرف كيف ارغمك على الكلام .. من الذى ارسلك ؟

— لم يرسلنى احد

— اذن فانت لا تريد ان تتكلم حسنا .

ورفع هارق يده ولم اللص فى صدره لكمة شديدة فسقط على الارض ثم نهض واقفا وجرى الى ركن الغرفة خائفا وعيناه ناطقتان بالذعر والهلع ولكن هارقى لم يرحمه وانما اسرع وراءه متحفزا للكمة اخرى فصرخ البرت جورج

— ارحمونى .. انى لا اعرف شيئا .. لم يرسلنى احد

— وجاءته اللكمة الثانية فصرخ متوجعا وهتف قائلا :

— دعنى .. دعنى ساتكلم !

فكف عنه هارق وقال :

— تكلم اذن والا قتلتك .

فقال اللص فى لهجة الرعاع وهو لا يزال يرتعش والذعر ماثل فى حركاته انى لم احضر من تلقاء نفسى .. هناك رجل نقدنى اجر لكى احضر .. اخبرنى ان فى هذا القصر رجلا يدعى استدين وطلب منى ان انسل الى القصر فاضربه لانهما عدوان .

وسكن جورج فصاح هارق :

— استمر .

— لقد اكد لى انها مهمة سهلة وان ليس على الا ان افتح نافذة فى الطابق الارضى فانسل الى الداخل .. وقدارنى رسما بمداخل البيت ومخارجه مبينا عليه مواضع اجراس

الانذار .. وقد قال لى ادخل هذه القاعة تجد فيها هذا الرجل فاضربه « علقة » شديدة ثم اسرع بالفرار فتجدنى فى انتظارك عند باب الحديقة فى سيارتى لاعود بك الى لندن .

فصاح اللورد استدين :

— اقال لك انه سيكون فى انتظارك عند باب الحديقة ؟

— نعم ياسيدى .. كم الساعة الآن .. لقد قال انه ينتظرنى فى الساعة العاشرة .

— ما اسم هذا الرجل ؟

— لاادرى ياسيدى .. ولكنه متأنق فى ثيابه .. مثل هذا السيد واشار الى اورفى .

— اكان وحده ؟

— كلا .. بل كانت معه سيدة .. سيدة جميلة .. وقد سمعتها تقول انها ستكون موجودة معه فى السيارة ايضا .

وتكلم جانيه الثعبان قائلا :

— ان مهمتنا قد اضحت سهلة جدا .. فليس علينا الا ان نذهب الى باب الحديقة لنعود بهما .

فاحنى اللورد استدين رأسه موافقا وقد اسعده ان يخدمه الحظ الى مثل هذا الحد وقال :

— نعم اذهبوا .. ولكن شدوا وثاق هذا الرجل اولا .

وتولى تيدى الجبار تقييد الاسير بيد تدل على البراعة والحذق وخرج الرجال الاربعة الى الحديقة ليقبضوا على تمبلار وجيل ترولونى وهما فى انتظار الصعلوك عند باب الحديقة .

اما اللورد استدين فبقى فى القاعة وهو يفرك كفيه ابتهاجا ولكنه اخذ يسائل نفسه عن السبب فى هذه « العلقة » التى كان يوشك ان ينالها .. منذ ايام

ضربه هارى دونيل « علقة » أخرى وهاهى ذى «علقة» جديدة كانت تبيت له. لقد كانت « العلقة » الاولى هينة لم تترتب عليها نتائج خطيرة ... ولكن مايراه ان هذه «العلقة» الجديدة كانت كفيلة بأن تقصم له ساقاً او تكسر له يداً .. فياله من انتقام يظهر ان جيل تريلونى لا تريد ان تقتله دفعة واحدة وانما تريد أن تجعله يقضى فى المستشفيات بقية عمره .. فكلما غادر المستشفى نال علقة جديدة ترده اليها .

ونظر اللورد فى ساعته ليحسب الوقت الذى يتمكن فيه اعوانه من الوصول الى باب الحديقة الفسيحة الارجاء والعودة ثانية .

وفجأة دق جرس الباب فاسرع يحتسى كأساً من الخمر ثم ذهب الى الباب ففتحه .

ولم يدهش حين رأى جيل تريلونى واقفة على العتبة .. ألم يقل لاعوانه ان يفعلوا بالرجل ما شاءوا وان يرسلوا اليه الفتاة ؟

وتكلمت جيل فى صوت هادىء كأنها تحيى صديقاً عزيزاً :

ـ طاب مساؤك ياسيدى

وتنحى اللورد استدين عن الباب فدخلت جيل واولاها البارون ظهره ليغلق الباب وحين استدار اليها سمعها تقول :

ـ ارفع يديك !

ورأى مسدساً مصوباً اليه .

ثم امرته بالمسير الى القاعة الخاصة . ولما دخلت ارسلت بصرها الى الصعلوك المشدود الوثاق القابع فى ركن الغرفة وتهدت تخاطبه

ـ كيف حالك ياقديس .

الفصل الخامس عشر

ابتسم سيمون تمبلار وقال يحييها :

ـ كيف حالك أنت ؟

واخرجت الفتاة مبراة من جيبها وقطعت الحبال المربوط بها صاحبها ومسدسها مازال مصوباً الى اللورد فانتصب تمبلار واقفاً وهو يقول :

ـ ان لفيدى الجبار طريقة معينة فى شد الوثاق ان شعاره الوحيد : شد واضغط .. ولكن احذر أن يتمزق الحبل .. اما ان تتكسر اعضاء المربوط فامر لا اهمية له عنده .

ونفض ثيابه ومسح وجهه مزيلاً اثار التراب التى تلوثه ثم خلع بذلته فاذا تحتها بذلة تغرى على غاية من الاناقة كان يخفيها بذلك الثوب البالى وعندما نزع الحذاء الضخم من قدميه ظهر حذاء آخر جديد .

وهكذا ارتد الصعلوك شخصاً آخر .. وانقلب البرت جورج الصعلوك الخائف المرتعد شاباً متحفزاً للنضال متهيئاً للوثوب على اعدائه .

وابتسم تمبلار وقال مخاطباً اللورد :

ـ خدعة صغيرة .. ولكنها جازت عليكم بسهولة .. وبها استطعنا ان نشطر الجيش قسمين .

وسألته جيل قائلة :

ـ ألقيت شيئاً من المتاعب ؟

ـ قليلاً . بعض اللكمات .. لكمنى احدهم لكمة شديدة اصابت بطنى فآلمتنى .. وفى المرة التالية اصابت يده الجدار فآلمته هو .. وقد انطلقوا الآن ليقبضوا علينا اعتقاداً منهم اننا فى انتظارهم فى السيارة عند باب الحديقة .

اما اللورد استدين فكان واثقا يتميز غيظا اذ جازت عليه هذه الخدع ٠٠ ولكن كيف كان له ان يتصور ان هذا الصعلوك الحقير هو القديس متنكرا ؟ على أنه كان مطمئنا الى ان رجاله الاربعة سيرجعون بعد دقائق فيتولون انقاذه ٠٠ فمهمته الوحيدة هي ان يراوغ ويحاول ان يكتسب وقتا فصمم عزمه على ان يتظاهر بانه كان صادقا في عزمه على اصلاح ذلك الظلم القديم كما قال في اعلانه الذى اذاعته التيمس عسى ان يمكنه الحديث والحوار من اكتساب بعض الوقت وأخذ اللورد استدين يتكلم في هذا الموضوع مبينا حسن نواياه فقالت له الفتاة بعد قليل ضاحكة :

ـ انك تنتظر عودة اصدقائك الاربعة ٠

وارسلت بصرها الى باب الشرفة المفضي الى الحديقة والذى خرج منه هؤلاء الرجال وقالت :

ـ ستترك لهم باب الشرفة مفتوحا حتى يدخلوا منه ٠

فقال تمبلار وهو يجرد اللورد من المسدس الذى في جيبه :

ـ ان هذا المسدس يتيح لى ان ارحب بهم اصدق الترحيب ٠٠ أما أنت يا جيل فاذهبي باللورد الى غرفة اخـرى ٠

وخرجت جيل مع اللورد وهي شاهرة مسدسها على حين توارى القديس الى جوار باب الشرفة منتظرا عودة الرجال الاربعة ٠

وبعد قليل سمع اصواتهم وهي تقترب ثم وقع خطواتهم وهم يصعدون السلم فلما دخلوا الغرفة وقفوا مبهوتين اذ رأوا الحبال متقطعة على الارض وقال أحدهم :

ـ هذا عجيب ٠٠ ! ما كان في وسعه ان يتخلص وحده من القيود وصاح آخر :

ـ لا شك ان احد رفاقه انسل الى القاعة اثناء غيبتنا وانقذه فتكلم القديس من مخبئه قائلا :

ـ تماما ٠٠ هذا هو ما حدث ٠

فدار الرجال الاربعة على اعقابهم كالملسوعين فلقوا القديس على قيد خطوات منهم ومسدسه في يده ٠

وقال تمبلار :

ـ انى آسف ٠٠ ولكنها خدعة صغيرة استطاع بها البرت جورج ان يقصيكم عن القاعة ٠

فصاح مارفي الدموى وهو يتحفز للهجوم : انت ٠٠ !

فقال القديس : قيل لى ان الرصاص الذى في هـذا المسدس يقتل !

وساق الرجال الاربعة الى ركن القاعة ثم رفع صوته مناديا جيل ففتح الباب ودخل اللورد استدين تتبعه الفتاة فقال لها تمبلار :

ـ احرسي هذا القطيع ريثما آتى بحبل لتقييدهم ٠

وجردهم من مسدساتهم وخرج من الغرفة ٠ ورجع بعد برهة يحمل عددا من الحبال فقيدهم ، ولكنه عفا عن اللورد ٠ وقال مخاطبا جيل :

ـ اتحبين ان توجهى بعض الاسئلة الى اللورد ٠٠ واذا ابى ان يتكلم ضربته بهذا الحبل ٠

واخذ يفرقع في الهواء بطرف الحبل كالسوط ٠

وتكلم اللورد قائلا :

ـ أؤكد لكما انى اقصد حقا ما ذكرته في الاعلان ٠ اريد ان اعوض مس تربلوني من ذلك الظلم القديم ٠٠ ولكني توقعت ان تعتقدا انى نصبت لكما فخا فارتأيت ان احتاط للامر واحمى نفسي وهذا هو ما دعاني الى احضار هؤلاء الرجال الاربعة ٠

فجال القديس نظره فيهم وتمتم يقول :

ـ تشكيلة بديعة ! اظهر رجل فيهم محكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة والبوليس يبحث عنه . لقد سبق ان تشرفت بمعرفتهم جميعاً .

وضحكت جيل وقالت : الحقيقة يا لورد انك اردت ان تنصب لنا فخا فوقعت فيه .. والان تلوذ باعلانك لتنقذ جلدك .. اليس كذلك ؟ ومع ذلك فيمكنك ان تفضى الينا بما تعلم .

وازدرد اللورد ريقه حين رأى فى عينيها امارات الشر وقال فى صوت متهدج :

ـ ان التهمة لم تكن ملفقة ضد ابيك .

فقالت الفتاة فى صوت رهيب :

ـ قلت لك تكلم . ومعنى ذلك انى اريد الحقيقة .. والا .. وتحركت يدها على زناد المسدس فمسح اللورد جبينه الذى كان يتصبب عرقا وقال : اقسم لك ان التهمة غير ملفقة .. كنت انا وابوك مشتركين فى التهريب .. ولكنه كان سوء الحظ فوقع .. وفى وسعى ان ابرهن لك على ذلك .. ان لدى مستندات ووثائق تؤيد ما اقول ولو انها قدمت الى المحققين لكان مركزه اسوا بكثير .. فى وسعى ان اريك خطابات بخط يده .

ـ واين هذه الخطابات ؟

ـ فى خزانتى .

ـ واين هذه الخزانة ؟

ـ فى القبو .

فقال القديس فى تهكم :

ـ حقا !

فاسترسل اللورد قائلا دون ان يعبأ بهذه المقاطعة :

ـ تحت السلم باب صغير .. افتحيه وادخلى منه ..

فقال تمبلار مقاطعا : وسوف تجدين فخا . اذ ينفتح منفذ سرى تحت قدميك فتسقطين فى اللجة المتصلة بالنهر . يؤسفنى ان اقول يا عزيزى اللورد ان مثل هذه الاحبولة الصبيانية لا يمكن ان تجوز علينا .

ولكن الفتاة تكلمت قائلة : الا يحتمل انه صادق فى قوله ؟ سأذهب بنفسى لاتأكد من الامر فاذا كان كاذبا امكنك أن تجلده بهذا الحبل .

فالقى تمبلار بالحبل على المنضدة وهو يقول :

ـ بل سأذهب انا وان كنت اعتقد ان لا فائدة فى الامر .. اذن سأنزل السلم ؟ وبعد ذلك ؟

فقال اللورد مستخذيا : ستجد دهليزا اسر فيه ماذا واجهك باب فتناول مفتاحه المعلق فى مسمار الى جانبه . وستجد امامك بعد ذلك بضع درجات اصعدها ثم سر نحو عشرين ياردة فتجد امامك كهفا واسترسل اللورد موضحا لتمبلار طريقة الدخول . فلما انتهى قال القديس : يخيل الى ان هذه الرحلة لن تسفر عن شىء ولن تؤدى الا الى اضاعة الوقت .

فقال اللورد : انى لا اضيع وقتا .

فحدجه القديس بنظرة ثابتة اذ كان يعتقد ان فى الامر مكيدة مبيتة ولكن ما الذى يسعه أن يفعل والفتاة مصرة على الاستطلاع وليس فى وسعه ان يدعها تذهب فانه اقدر منها على معالجة الفخاخ والمكائد والتفت اليها تمبلار وقال :

ـ من المحتمل انهم يريدون الايقاع بك بعد اختفائى .. فلا تترددى فى اطلاق النار على اللورد اذا بدرت منه حركة مريبة اما الباقون فقيودهم تمنعهم من الحركة فابتسمت جيل وقالت :

ـ انى اتمنى ان تبدر منه حركة مريبة حتى اقرع

رصاص مسدسي في صدره واشبع في نفسي شهوة الانتقام .

وغادر تمبلار القاعة وهبط السلم حتى انتهى الى الباب الذي قال عنه اللورد ففتحه ونزل الدرجات الحجرية وسار في الدهليز الذي تدل رطوبته على انه قريب من قاع النهر . وظل في سيره حتى انتهى الى باب الكهف فوجد المفتاح معلقا على مسمار في الجدار فتناوله وفتح الباب ودخل فوجد درجات أخرى نزلها وسار في دهليز مظلم تبدده الى حد قليل ، الانوار المنبعثة من المصابيح البعيدة التي في سقف الدهليز خارج الكهف .

وخيل الى القديس ان في نهاية الكهف هاوية عميقة .. ولكنه لشدة الظلام لم يستطع ان يتبين عمقها فدنا منها ثم صاح بأعلى صوته مرددا بضع كلمات لا معنى لها حتى يختبر عمق الهاوية بترديد الصدى . وان هي الا لحظات حتى تخبط صوته في ارجاء الكهف ورجع اليه داويا كالرعد ثم انحدر الصدى الى الهاوية وغاب في احشائها فلم يسمع له تمبلار ترجيعا . فعرف على الفور انها هاوية سحيقة بعيدة القرار فحمد الله على أن التعليمات التي أصدرها اليه اللورد اسندين لم تحتم عليه ان يقذف بنفسه الى اعماق هذه الهاوية السحيقة .. !

ولكن التعليمات كانت تحتم عليه ان ينحرف الى اليمين فاذا وجد امامه مجرى مملوءا بالماء فعليه أن يخوض فيه حتى يبلغ الجدار المقابل وعندها سيجد في الجدار حجرا صغيرا ناتئا اذا ضغط عليه انشق الجدار وانكشف عن خزانة سرية .

ووجد تمبلار المجرى فخلع حذاءه وجلس على حافته وانزل ساقيه في الماء ليختبر عمقه فلمست قدمه قاع

المجرى ورجح لديه ان عمق القاع لا يزيد على ست بوصات .

الفصل السادس عشر

مرت عشر دقائق دون ان يعود سيمون تمبلار .

واخذت جيل ترهف اذنيها علها تسمع وقع خطواته وهو قادم .

ولكنه لم يرجع .. واخذ القلق يستولي عليها ويشيع في نفسها .

وعلى حين فجأة تكلمت قائلة : لورد اسندين .. !

ودوى صوتها في ارجاء القاعة فعكر السكون الذي شملها طيلة هذه الدقائق فاجفل اللورد ونظر اليها مستفسرا فقالت :

ـ مر وقت طويل منذ خرج سيمون تمبلار .

ـ من المحتمل انه لقي بعض الصعوبات .

ـ او من المحتمل انه اصيب بحادثة ما .. !

وكانت جملتها تنطوي على الاتهام وهي تحاول ان تنفذ بنظراتها الى خبايا اللورد ولكنه كان جامد الوجه هادىء الصوت .. وقال لها :

ـ من المحتمل ان الخزانة استعصت عليه .

ـ فلنذهب اذن لنساعده .

ـ ولكن ما الداعي .. ؟

ـ تلك هي مشيئتي .. سنذهب الى الكهف .. وسترافقني .

فقطب اللورد جبينه فقالت الفتاة : انك لا تريد ان تذهب .. حسنا هذا هو ما توقعت .. لاشك ان تمبلار وقع في فخ نصبته له ولهذا تخشى ان اقف على الحقيقة .. ولكننا سنذهب لننقذه .

ومشت الى الباب ففتحته وهى تقول : هيا بنا ٠٠ سر أمامى ٠

ـ ولكن ٠٠

ـ قلت لك سر ٠٠ !

فتحيرت بعض الكلمات على شفتى اللورد لسندين ولكنه أمسك ٠٠ ثم عاد يقول : اذا نزلت الى الكهف حاق بك الخطر ٠

ـ قلت لك هيا بنا ٠

فهبطا السلم حتى انتهيا الى الدهليز فسارا فيه ٠ فلما اشرفا على باب الكهف قال اللورد : هذا هو الكهف ٠

ودخله ثم انعطف الى اليمين والفتاة فى اثره ، ولكنه كان اسرع منها حركة اذ انتهز فرصة انحرافه واحتجابه عن عينيها ٠ وتوارى خلف صخرة ناتئة فى الكهف ثم دار حول الصخرة وفاجأ الفتاة من الخلف بينما كانت تنظر أمامها فى ظلام الكهف باحثة عنه ٠٠ !

وأمسك اللورد بيدها وطوحها فى عنف فطار المسدس منها وسقط على الارض الصخرية فدفعها دفعة قوية ثم انحنى والتقط المسدس وهو يقول :

ـ أيعجبك هذا الكهف ٠٠ !

واستحال اللورد لسندين مخلوقا آخر ٠ معتدا بنفسه ٠٠ قاسى النظرات ٠ جاف اللهجة كأنه وحش ضار يوشك ان يهم بفريسته ٠

ثم أومأ باصبعه قائلا : وهذا هو مسفر تمبلار ٠٠ !

ورأت القديس ٠٠ ! كان طريحا على أرض الكهف ٠٠ ولم يكن ميتا اذا سمعت صوت تنفسه مصحوبا بتأوهات اليمة . وكانت حول كاحلة حلقة من الحديد منطبقة على مفصل قدمه كأنها فكا حيوان مفترس ٠٠ ! وكانت الحلقة

مشدودة الى سلسلة مثبت طرفها فى قاع الجدول تحت سطح الماء .

وتكلم اللورد قائلا :

هذا الاختراع من صنعى ٠٠ !

وكان صوته رهيبا مفزعا ٠٠ وكانت ضحكته بشعة كأنها ضحكة شيطان متمرد انطلق فجأة من أعماق الجحيم .

وعرفت الفتاة على الفور أنه رجل معتوه ٠

واسترسل اللورد قائلا :

ـ لقد خبأت الفخ فى قاع الجدول ٠٠ تحت مقبض الخزانة ٠٠ خزانة ٠٠ ! انها لا وجود لها ٠ اما مقبضها الذى تراه فى الجدار فقد الصقته بنفسى بالامس حتى اذا اتجهت اليه كان لابد لك ان تطأ الفخ بقدمك فينطبق فكاه على كاحلك ٠٠ ! لقد احضرت الرجال الاربعة ليحموني فى حالة الخطر المفاجيء ٠ ولكن كان فى نيتى أن ارسلك الى الكهف لتمضى فيه بضعة ايام مشدودا الى هذا الفخ حتى يدركك فيضان الماء حين يفتح الخزان المقام على النهر ٠٠ وفى كل يوم فى مثل هذه الساعة يفتح الخزان فتمتليء الهاوية بالماء ٠٠ ويظل يعلو ٠٠ ويعلو حتى يفيض الكهف فيغرقك الماء وانت مشدود فى هذه السلسلة لا تملك فرارا ٠٠ وحين طلبت الى جيل أن تنزل الى الكهف ابديت ترددا لاغريك الاصرار على النزول ٠ ٠٠ وها قد نجحت حيلتى ٠٠ !

وضحك ٠٠ وكانت ضحكة جنونية رهيبة ٠

ثم استرسل قائلا :

أن مفتاح الفخ فى جيبى ٠٠ وهذا المفتاح هو الذى سينقذ تمبلار من عذابه ٠٠ ان فكى الفخ يضغطان مفصله

حتى ليوشكا ان يقصماه .. ولكن لا تنتظرى منى طبعا ان استعمل المفتاح ..

ـ يا لك من شيطان .. ! وادار تمبلار راسه وعلى شفتيه ابتسامة تدل على الالم وقال :

ـ هدئى روعك يا جيل ولا تسبيه .. لقد سقط مسدسى فى الجدول ولم استطع ان اعثر عليه .

ـ مسكين انت .. !

ـ شكرا على عطفك .

وجرت اليه الفتاة وركعت الى جانبه واخذت تتخلل شعره بأصابعها فى حنو ورقة .

وهمس تمبلار فى اذنها فى صوت لا يكاد يسمع :

ـ انى اكذب .. المسدس فى جيبى الايسر .. خذيه .

واحتضنت الفتاة القديس ولكنها كانت فى الواقع تبغى ان تخرج المسدس من جيبه دون ان يراها اللورد .

واسترسل اللورد قائلا : عندما يمتلىء الكهف بالماء سيدمركما ثم تجرفكما الميـاه الى اعماق النهر . فلا يبقى لكما اثر ولا يخطر لاحد ان اللورد اسندين هو الذى ارتكب هذه الجريمة . نعم . ساتخلص منكما الى الابد . وسأربطك انت ايضا يا جيل بهذه السلسلة . حتى لا يكون لك امل فى النجاة . اما رجالى الاربعة . فالمال يسد الافواه ولن يسألونى شيئا .

وصرخ صرخة وحشية ثم انقض على الفتاة لكى يرفعها بين ذراعيه حتى يقيدها فى سلسلة اخرى مثبتة فى الجدار . وجاءت حركته هذه فى الوقت الذى امسكت فيه الفتاة بالمسدس وهمت بأن تخرجه من جيب تمبلار .

وطار المسدس من يدها وسقط على الارض . وتدحرج تمبلار وهم بان يختطفه . ولكن اللورد كان اخف منه حركة فركل المسدس بقدمه واطاره بعيدا .

فقال تمبلار فى صوت هادىء لا يتفق وحرج الموقف .

ـ انك فيما ارى من لاعبى الكرة المشهورين ! .

وحاول ان يمسك بقدمى اللورد فركله هذا بين عينيه .

وفى الوقت نفسه كانت جيل قد انقضت على اللورد من الخلف فاختل توازنهما وسقطا معا فى الجدول ! . ولكنه استطاع ان يرفعها بيد واحدة ويقيدها بالسلسلة باليد الاخرى . فلما انطبق القفل قال اللورد فى لهجة وحشية :

ـ وها أنذا قد انتهيت منك انت ايضا . والان لا ارى حرجا فى ان اصارحك بأن اباك كان بريئا . بصفته وكيلا لادارة الامن العام وكان يضايقنى بصفتى من مهربى المخدرات فلفقنا له هذه المكيدة ببراعة فوقع فى الفخ .

وكان مسدس اللورد قد سقط منه فى الجدول اثناء العراك الذى دار بينه وبين الفتاة فجثا على حافة الجدول واخذ يعبث فى الماء بحثا عن مسدسه فلم يعثر عليه فقال له تمبلار :

ـ ولكنك فى حاجة الى المسدس لان معى مسدسا اخر .

وكان تمبلار قد وضع يده فى جيبه الخلفى فانقض عليه ليمنعه من اخراج المسدس .

وضحك القديس واطبق بيدين من حديد على عنق اللورد حين اقترب منه .. لم يكن مع تمبلار مسدس اخر ولكنه القى هذا الزعم الى اللورد ليحمله على الاقتراب منه فيخنقه بيديه .

وتكلم القديس قائلا : ليس معى مسدس آخر .. ولكنى اردت أن اجعلك تقترب منى .

وكان النضال رهيبا قاسيا . كان كل منهما يدافع عن حياته دفاع القانط المستميت . واخذت اللكمات تكال الى تمبلار وهذا يتحملها بصبر عجيب وقد ركز كل قوته فى

قبضتيه اللتين تضغطان على عنق اللورد . ولكنه كان يكابد عذابا لا يطاق .. كانت ساقه بين فكي الفخ . وكل حركة يأتيها تشعره بأن مفصله يكاد يتحطم . وأخيرا جمع اللورد قبضته وسدد الى أنف تمبلار لكمة هائلة .

وكانت هذه اللكمة هي فصل الخطاب . تراخت يداه عن عنق اللورد . ثم انكفأ على وجهه فسقط في الماء .

وفي الماء أحس بشيء صلب يلمس وجهه !

وكان هذا الشيء حلقة من المفاتيح . !

لمس القديس حلقة المفاتيح في ذهول وهو لا يكاد يصدق أن يحالفه الحظ الى هذا الحد . لاشك أن المفاتيح سقطت من جيب اللورد اثناء النضال الذي دار بينهما .

وارسل القديس بصره الى اللورد فالفاه لا يعبأ به وانما ابتعد الى ركن الكهف بعيدا عن قبضة تمبلار .

وتكلم اللورد قائلا : لقد انتهت المعركة ولا سبيل لكما الى الفرار .

وفي هذا الوقت كان القديس قد امسك بالمفاتيح وهي تحت سطح الماء واخذ يجربها واحدا بعد الآخر ليفتح قفل الفخ الذي كان مغمورا ايضا بالماء .

وحين انفتح القفل استطاره الفرح . لقد صار حرا وفي وسعه أن ينقض على اللورد .

وفي وثبة الفهد انتصب تمبلار واقفا وهجم على اللورد . ولكنه دهش وصعق حين تراخت ساقه اليسرى ولم تحتمل ثقله فترنح وسقط على ركبتيه .. لقد أثر ضغط الفخ على مفصله ومن المحتمل انه كسر بعض عظامه .

وصاح اللورد استدين قائلا : هل تخلصت ؟

ـ طبعا .

وانقض اللورد على تمبلار واشتبك الرجلان للمرة

الثانية في صراع عنيف جنوني .

كان تمبلار يدافع عن نفسه دفاع المستميت . كان يعلم من يقين أن الموت نصيبه في هذه المرة ان هو اخفق . وان لا رجاء له في الحياة بعد ذلك .

وكذلك كان اللورد استدين يعلم انه ان غلب فقد دفع حياته ثمنا لهزيمته .

وكان اللورد مجنونا .. واكسبه جنونه قوة الوحوش الضارية . اما تمبلار فكان على نقيضه منهوك الاعصاب متعبا .. وكانت ساقه اليسرى المتراخية عقبة تجرده من القدرة على الحركة . ولكنه أخذ يدافع عن نفسه . واخذ يكيل اللكمات الى خصمه وهو راكع على ركبتيه ويتلقى في الوقت ذاته لكمات اللورد الذي كان منتصبا فوقه كالمارد الجبار .

واستطاع القديس أن يجذب اللورد ليوقعه على الارض وينشب اصابعه في عنقه بقوة هائلة فكال له استدين بضع لكمات في انفه احتملها تمبلار بصبر وشجاعة . ولكن اللورد ما لبث أن امسك بذراعيه ولواها في عنف فاشتد الالم بتمبلار ولم يكن في وسعه أن يتحرك بسبب ساقه المكسورة فعجز عن مقابلة الهجمات بالخدع والتحايل فصرخ متوجعا واضطر أن يرفع قبضتيه عن عنق اللورد . فأخذ هذا نفسا طويلا وقد كان وشيكا أن يختنق .

وفي تلك اللحظة زلت قدم تمبلار فغاصت في الماء .. فاصطدمت بالمسدس . فما كان منه على رغم حرج الموقف الا أن انحنى والتقطه . ولكن اللورد ركله بقدمه فطار المسدس من يده في الجدول ثانية .

واسرع اللورد الى الجدول ومد يده في الموضع الذي سقط فيه المسدس واستطاع أن يعثر عليه في لحظات .

فانتصب واقفا وقدماه غائصتان فى الماء وصوب المسدس
الى تمبلار . فاسرع هذا وانبطح على وجهه وجذب
اللورد من قدميه فاختل توازنه وسقط .
ولكن المسدس كان لا يزال فى يده .
وكان اصبعه على الزناد .. !
وضغط الزناد ليطلق النار .. وفى تلك اللحظة بالذات
كان تمبلار قد امسك برسغه ولوى يده بحيث صارت
الفوهة مسددة الى جسم اللورد وقال له : الان يمكنك أن
تطلق النار .. !
وانطلقت الرصاصة .. وكان لصوتها دوى يصم
الاذان !

الفصل السابع عشر

اصابت الرصاصة من اللورد مقتلا .
وكان الماء قد بدأ يرتفع فى الجدول بسرعة عجيبة
بسبب فتح الخزان القائم على النهر والذى يتصل بالهوة
السحيقة الواقعة فى طرف الكهف .
وزحف تمبلار على الارض وفى يده حلقة المفاتيح حتى
دنا من جيل ففتح القفل الذى اغلقت به السلسلة حولها
واطلقها . فاقبلت عليه تمسح شعره فى عطف وتقول :
ـ هل انت بخير ؟
ـ انى احسن حالا .
وطمى المـاء على الكهف فقالت الفتاة :
ـ الا يمكنك ان تتحامل على ذراعى ؟
فاستند الى ذراعيها ومشى فى بطء وقدمه اليسرى لا
تكاد تحمله لانها منفصلة عن ساقه . وقال لها وهما
يصعدان السلم :

ـ سيغمر الماء الكهف ويجرف جثة اللـورد الى
الاعماق .
وكان الاسرى الاربعة لايزالون فى القاعة مشدودى
الوثاق فقال لهم القديس : سنتركم بهذا الشكل ايها
السادة حتى يعود الخدم فى الصباح فيطلقوا سراحكم أو
يبعثوا بكم الى السجن .
وكانت سيارتهما لا تزال واقفة عند باب الحديقة مطفأة
الانوار فركباها وامرت جيل السائق بالمرور على احدى
الحانات ليبتاعا زجاجة من الخمر ارتشف منها تمبلار
بضع جرعات فردت اليه نشاطه وقوته بعد هـــذا
النضال العنيف الذى لقيه .
وقال يخاطبها والسيارة منطلقة بهما :
ـ سآمر السائق بان يذهب بنا الى حى شيلسيا .. ان
لى منزلا بها لا يعرفه المفتش تيل ففى وسعك ان تقيمى فيه
حتى تهدأ العاصفة واهيىء الوسائل اللازمة لسفرك .
اما انا فساوى الى مسكنى فى شارع بلجريف على مرأى
ومسمع من رجال البوليس جميعا نكاية فى المفتش تيل ..
بل قد اتصل به تليفونيا وادعوه لمقابلتى لاتهكم عليه واثير
غيظه .
واشعلت الفتاة سيجارة ونظرت اليه من خلال الدخان
وهمست تقول :
ـ وهل تنوى أن ترحل انت ايضا .. ؟
ـ ولـمـاذا ؟
فترددت قليلا ثم قالت :
ـ لقد سمعتك تقول يوما انك تنوى ان ترحل عن
انجلترا لان فى عزمك أن تعتزل العمل .
فضحك ضحكة لطيفة وقال :
ـ القديس يعتزل العمل .. ! يلوح لى يا عزيزتى انك لا

تعرفيني حق المعرفة .. ان القديس لا يعتزل العمل الا اذا طهرت الدنيا من المفاسد .. أني هنا رسول العدالة الحقة .. العدالة التي لا تحابي أحدا والتي تقرر امام الاغنياء او كبار الموظفين .. انى هنا لانتقم للمظلومين من الظالم .. ان الدنيا لن تطهر .. والقديس لن يعتزل العمل ومع ذلك فهل أشبعت رغبتك في الانتقام ؟

ـ لقد قتلت استيفن ويك بيدى .

ـ أما اللورد استندين فقتل نفسه بيده ولا أظنني مسئولا عن لوى يده والمسدس فيها وتوجيه الفوهة الى جسمه لأنه هو الذي ضغط الزناد .. فليت شعرى من الثالث الذى عليه الدور ؟

وساد الصمت برهة ثم قال تمبلار فجأة :

ـ ان هذه اللعبة لا تروق لى .. انها لعبة ملوثة بالدماء .. لقد بدأت الامر على انه مجرد مزاح ولكنه ما لبث أن انقلب مزاحا دمويا .. ولكننى مع ذلك لن اتخلى عنك .. سأظل الى جانبك حتى ترتوى بلذة الانتقام .. انى أعلم انك تدافعين عن قضية عادلة . وفى بعض الاحيان لا أحجم من ارتكاب جريمة قتل فى سبيل قضية عادلة .

وشملهما الصمت .

وجعلت الفتاة تتأمله برهة ثم أخذت بيده فى رفق وضغطتها وهى تقول :

ـ من عادة الهنود الحمر الامريكيين ان يقبل الرجل الفتاة بلا أى حرج ما دامت تروقه .. وأنت انقذت حياتى فمن حقى ان اقبلك اعترافا بجميلك .. ولكنى لن أقبلك لهذا السبب وانما لسبب آخر وهو انى أريد ان أقبلك وكفى .. !

ومالت اليه . وقبلته !

الفصل الثامن عشر

وصل المفتش تيل الى قصر اللورد استندين بعد انصراف سيمون تمبلار وصاحبته بنحو ساعة أو ساعتين فوجد الابواب مفتوحة على مصراعيها فدخل دون تردد والفى الرجال الاربعة مشدودى الوثاق فى قاعة الاستقبال . فهبط مسرعا الى الكهف ليبحث عن رب القصر ولكنه لم يستطع أن يتقدم الا قليلا اذ كان ماء النهر قد طغى وغمر الكهف . فلم يدر المصير الذى أصاب اللورد وهل غرق أم غادر القصر .. ؟

وبعد ظهر اليوم التالى ذهب تيل الى ادارة الامن العام وقال للرئيس :

ـ اغلب ظنى اننا لن نرى اللورد استندين مرة أخرى .

ـ قتل طبعا .. ؟

ـ يجوز .. ولكن كيف السبيل الى الاثبات دون أن نهتدى الى الجثة .. انك تعلم أن القانون يحتم العثور على الجثة قبل توجيه التهمة .

فقطب مستر كوليس جبينه وقال : أولا ستيفن ويك .. ثم اللورد استندين .. لابد أن بين الحادثين حلقة مفقودة ..

ـ طبعا .. فجيل تعتقد ان اباها كان ضحية مكيدة ملفقة فاقسمت أن تقتل كل من كان له أصبع فى الحادث .. انها تعتقد أن هناك عصابة من المجرمين كانت على صلة وثيقة بأحد موظفى ادارة الامن العام .. وكان سير تريلونى خصما عنيدا لهذه العصابة وقد استطاع أن يتعقبها ويهتدى الى اثرها حتى كاد يبطش بها فدبروا له هذه المكيدة بمساعدة شريكهم الموظف فى هذه الادارة .. وبذلك استطاعوا أن يتخلصوا من عدوهم اللدود .. هذا

طبعا هو راى جيل تريلونى ·· ولست ادرى كيف استطاعت ان تجعل القديس يؤمن بنظريتها ·· ؟

فهز مستر كوليس كتفيه وقال :

ـ كلام فارغ ·· ! كان فى هذه الادارة رجلان فقط يهتمان بسير تريلونى واشتركا عن كثب فى تحقيق التهمة التى وجهت اليه ·· وهذان الرجلان هما انا · ثم المدير العام · فليس لاحد من موظفى هذه الادارة صلة بالحادث كما ترى · الا اذا كانت مس تريلونى تريد ان تقول انى انا والمدير كنا نتناول رشوة من استيفن ويلد او ويلد ستون ·

فقال تيل : ان نكبتها بموت ابيها جعلتها تهذى بما لا تعى ·

وساد الصمت برهة ثم قال مستر كوليس :

ـ لقد اتعبتنا جيل بخرافاتها · والصحف لا تنفك تحمل علينا فاذا استمر الحال على هذا المنوال اكرهنا المدير على الاستقالة ·

فاحنى تيل رأسه وقال : ولكن جيل لن تقلع عن مغامراتها الا اذا اهتدت الى شخصية الشريك الذى فى هذه الادارة وقتلته كما قتلت صاحبيه من قبل ·· وما كنت لاعبأ بالامر لو ان سيمون تمبلار كان بعيدا عن مساعدتها · ان القديس شيطان رجيم · واؤكد لك انه لا يتردد فى ان يختطف بمفرده مدير الامن نفسه ولو كان فى حراسة عشرات من رجال البوليس ·

فقال مستر كوليس : سأطلع مرة اخرى على ملف جيل تريلونى عسى ان يعن لى راى جديد ·

وفى صباح اليوم التالى جىء بالملف الى وكيل ادارة الامن فمضى عشر ساعات كاملة وهو يفحصه واغفل كل عمله سواه ·

وحين رجع الى داره فى ساعة متأخرة من تلك الليلة كانت ذاكرته قد نشطت الى استعادة تلك الحوادث التى وقعت منذ ثلاث سنوات · ذكر مقابلاته مع مدير البوليس لسير تريلونى وهو يطلب مقابلة ويلد ستون بفندقه فى باريس · وذكر ساعة ان فتح خزانة تريلونى واخرج منها رزمة الاوراق المالية ·· وذكر دفاع تريلونى وادعاءه بانه لم ير هذه الاوراق ولم يودعها خزانته ·

نعم ·· ذكر مستر كوليس هذه الحوادث الماضية حتى لكانها وقعت بالامس وحين اوى الى فراشه واخذ النوم يراود جفنيه شاطر المفتش تيل رأيه فى ان سيمون تمبلار لشيطان رجيم وان مثله لا يحجم حتى عن اختطاف مدير الامن العام ولو كان فى حراسة عشرات من الشرطة ·

وفى صباح اليوم التالى حين جاء مستر كوليس الى ادارة الامن العام وجد المفتش تيل فى انتظاره وعلى وجهه ما ينم عن ان حادثا خطيرا قد وقع ·

وقال تيل فى اقتضاب :

ـ الم تكن انت آخر انسان اطلع على ملف جيل تريلونى ؟

ـ نعم ·· لقد ظللت ادرسه حتى ساعة متأخرة من ليلة الامس ·

ـ واظنك اعدته بنفسك الى مستودع الملفات ؟

ـ هذا صحيح .. اذ كان اغلب الموظفين قد انصرفوا .

فأومأ المفتش تيل باصبعه الى مكتب مستر كوليس وقال : انظر ! فتناول مستر كوليس الملف الذى كان موضوعا على مكتبه وفتحه فكان اول شىء وقع عليه بصره ورقة صغيرة مكتوبة فيها هذه الجملة · ·

جزيل الشكر ؟ .

وفي ذيل الجملة امضاء سيمون تمبلار ٠٠ !

وتحت هذه الرسالة ثلاثون فرخا من الورق بيضاء خالية من الكتابة ٠ !

واختتم مستر كوليس يقول :

– ومتى اكتشفت هذا ٠ !

– منذ ساعة ٠٠ حين اردت أن اطلع على الملف فلم أجد فيه الاوراق التى تتضمن تفاصيل حادث سير تريبونتي القديم اذ انتزعت ودست مكانها هذه الاوراق البيضاء .

– ولكن هذا مستحيل! كيف تؤاتيهم الجراة على السطو على ادارة الامن العام ؟ !

– قد يكون مستحيلا . ولكنه وقع فعلا ؟

– أهناك ما يدل على العبث بالملفات الاخرى ؟

– كلا .

– اذن فهذا دليل على أن اللص موظف في هذه الادارة وعلى علم تام بمحتوياتها وبمكان الملف الذي ينشده !

– وماذا يجدينا هذا الرأى ؟ ان امامنا عشرات من الموظفين قد تقع الشبهة على احدهم ٠٠ ان الملائكة العذاب وللقديس قدرة على شراء الذمم والضمائر .

وامسك المفتش تيل بالرسالة وقال :

– ان الخط شبيه بخط تلك الرسالة التى وجدها اللورد اسدين في باريس . انى أستطيع ان اقسم ان القديس هو كاتب الرسالة الاولى .

– والرسالة الثانية ؟

– انه كاتبها أيضا وان كان الخط مختلفا الى حد ما ٠٠ ولكن هذا يرجع طبعا الى محاولته تغيير خطه الاصلى ٠٠ ان القديس وغد ذكي !

– الا تعلم المكان الذي يلوذ به الان ؟

– انه يقيم في منزله الذي تعرفه جميعا ٠٠ لقد رأيته بالامس .

– رأيته ! ولكن كيف ؟ .

فصاح المفتش تيل قائلا :

– كيف لم اقبض عليه ٠٠ ! ليت شعرى متى استريح من سماع هذه العبارة ! لماذا لم اقبض على القديس ؟ سأقول لك لماذا ٠٠ لم اقبض عليه لانه لا فائدة من القبض عليه ٠٠ اين هي هذه المحكمة التي يمكن أن تأمر بزجه في السجن ما دام ليس هناك اى دليل ضده ! الا تعرف يامستر كوليس ان تمبلار رجل ، نظيف ، في نظر القانون ؟ قد يكون في حركاته ما يريب ولكن الريبة ليست جريمة ؟ فيما مضى قامت الادلة على اشتراكه في جرائم معينة وكان من الممكن اذ ذاك القاء القبض عليه ولكنه انقذ ولي عهد بافاريا من اعتداء الفوضويين فصدر عنه عفو عام وصار رجلا بريئا مثلك ومثلي ! بل لقد صار من رجال البوليس ٠٠ لقد اثبت حقيقة انه شرطي مهمل – كما يزعم – ولكن الاهمال ليس جريمة ! فارجوك ان لا تسلني بعد الآن عن السبب الذي يجعلني لا اقبض على القديس ٠٠ !

– ولكنه شريك لجيل ترلوني ٠ ! ويعرف مخبأها ٠٠ ويتستر عليها ٠٠ !

– وهل تستطيع ان تثبت ذلك عليه ؟ كلنا نعرف ان هذه هي الحقيقة ولكن أين الدليل ؟ ان الخطة الناجحة في رأيي هي أن نترصد خطواته وحركاته حتى يقودنا على غير علم منه الى مخبأ جيل . وان كنت اعتقد ان القديس احرص من ان يقع في مثل هذا الفخ .

وساد الصمت برهة ٠٠ كان مستر كوليس يعتقد أن لابد من ايجاد حل حاسم وسريع لهذه المشكلة ٠ ! لابد من

القاء القبض على جيل تريلوني بأية طريقة ·
وتكلم مستر كوليس قائلا :
ـ أتذكر ذلك الايطالي أنطونيو مورينو ؟
ـ الذي صدر الامر بنفيه غدا ؟ ما شأنه ؟
ـ سأرجيء نفيه أسبوعا ·
ـ ولماذا ؟

ـ لقد خطرت لي فكرة ·· كلما ارسلنا خلف القديس أحد رجال البوليس ليتعقب خطواته تخلص منه بسهولة تامة لانه يتبينهم من مشيتهم ومن حركاتهم ·· ولهذا خطر لي أن أطلق في اثره رجلا من طرازه ·· مجرما مثله ·· وقد وقع اختياري على انطونيو مورينو ! هناك مثل يقول : لا يفل الحديد الا الحديد ! وكذلك لا يفل المجرم الا المجرم ! مورينو ضد القديس ! يا لها من فكرة ! يا لها من فكرة !

وفرك مستر كوليس يديه ابتهاجا · اما المفتش تيل فلبث جامدا لا يبدي ما يدل على الارتياح الى هذا الرأي · !

الفصل التاسع عشر

كان أنطونيو مورينو مثلا سيئا لبلاده . فما حل في بلد الا اقدم على جريمة يزج من أجلها في السجن · فنزل ضيفا على جميع الحكومات وتذوق جميع السجون · ! ولما هبط انجلترا لم يلق ما كان ينتظر من ترحيب فالقي القبض عليه وتقررت اعادته الى بلاده .

واذا ما أعيد الى بلاده كان السجن في انتظاره لجرائم قديمة ارتكبها وفر قبل أن ينال قصاصه عنها . ولهذا كان يكره هذه العودة ويحب أن يتفاداها بأي ثمن كان ··

ولهذا قبل في ارتياح وطيبة خاطر المهمة التي عرضها عليه مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام اذ وعده بالغاء أمر النفي وتمكينه من مغادرة انجلترا بسلام الى اي بلد يشاء اذ هو تعقب القديس ونجح في الاهتداء الى مخبأ جيل تريلوني ·

ونجح مورينو في اقتفاء خطوات القديس ·· لم يفطن هذا الى ذلك الرجل الضئيل الجسم الذي يمشي على مقربة منه والذي تدل سحنته على الاجرام اذ كان من عادته الا يلقي بالا الى الرجال الذين تنم ملامحهم على انهم من رجال البوليس ·

وفي ذلك اليوم ، حين غادر تمبلار مسكنه في شارع باجريف شعر برجلين يتعقبان خطواته ، فعرف على الفور انهما من رجال الشرطة ولم يكن عسيرة عليه أن يتخلص من مراقبتهما .. ولكنه لم يفطن الى أن هناك رجلا ثالثا يقتفي أثره ·

وهكذا استطاع أنطونيو أن يرافق سيمون تمبلار حتى انتهى الى مسكنه السري الذي اتخذه في شلسيا والذي جعل جيل تريلوني تقيم فيه ·

وكانت الفتاة ترتقب قدومه واللهفة مستبدة بها والقلق مستول عليها · كانت تسائل نفسها عما يجري في العالم الخارجي · انها حبيسة في هذا البيت لا تجرؤ على الخروج خشية أن تقع في أيدي رجال البوليس وقد زودها القديس بما يسد حاجتها من الطعام المحفوظ .

وتلقته عند الباب وهي تقول :
ـ باركك الله ..·! لو انك لم تحضر اليوم لادركني الجنون · ! انك لا تدرك مبلغ عذابي وانا اجد نفسي حبيسة في هذا البيت ولا تسلية لي الا القراءة · !

فابتسم تمبلار وقال :

— ولكنني كنت لديك أول أمس ٠٠ ! أوه ٠٠ ! يظهر أن « البنت » بدأت تحبني ٠
فضحكت وقالت :

— قص على ما حدث منذ تركتني ٠
— لم يحدث شيء ٠٠ زارني المفتش نيل وهددني فهزأت به ٠ فأراد أن يمكر بي ٠ فهزأت به ٠ فتودد الى فهزأت به ٠ فحاول أن يرشوني فهزأت به ٠٠ فانصرف ٠٠ أو اذا أردت ايجازا : هزأت به فانصرف ٠
— الى أين ؟

— الى ادارة الامن العام ليقدم استقالته حتى يتفرغ لتربية الدجاج بعد أن أيقن أنه لا يصلح أن يكون بوليسا سريا ٠
— وبعد ذلك ؟
— أطلق في أثري بعض رجاله فتعقبوني وتخلصت منهم ٠

— وكيف عرفت أنك تخلصت منهم ٠
— ألم أعد أسمع ترتيق أحذيتهم العسكرية أيقنت أنهم على مسافة مائة متر مني ٠ وعلى فكرة ٠ لقد سرق ملف خطير من ادارة الامن العام ٠
— حقا ! ٠ أي ملف ؟

— ملف جيل تريلوني ٠٠ والبوليس على يقين من أن السارق موظف في نفس الادارة اشترى القديس ذمته ؛ وقد تبادر الى الاذهان في أول الامر أن السطو جاء من الخارج ولكن هذه النظرية ما لبثت أن استبعدت لاستحالتها ؟
— ومتى حدث ذلك ؟
— ليلة أول أمس ٠

— ولكنك كنت موجودا هنا ؟
— ومن هذا ترين أن دليل النفي حاضر ٠
— ولكنك انصرفت عند منتصف الليل ؟
— على الرغم مني ٠
فابتسمت وقالت :
— وقلت لي انك على موعد ؟
— هذا صحيح ٠
— واين كان هذا الموعد ؟
— في بلاد الهند ٠٠ ! كنت انوى ان اشترى فيلا ٠٠ ! وقد اشتريته فعلا ٠
— ولكني لم اقرأ في الصحف اشارة الى سرقة هذا الملف ؟
— ان النبأ لم يبلغ للصحف ٠٠ ! كتم عن الرأي العام ٠
— كيف اتصل بك اذن ؟
— ان عندي مصادر سرية للمعلومات ٠٠ ! ولكن لما كل هذه الاسئلة ؟ هل انت جيل تريلوني ام المفتش نيل ؟
فحدجته بنظرة فاحصة وقالت :
— سيمون ٠٠ !
— نعم ٠٠ ؟
— ماذا بك ٠٠ ؟ وما هي علاقتك بسرقة الملف ٠٠ ؟
— لا شيء ٠٠ ! انني لم انم الا غرارا ٠٠ انني متعب جدا ٠
— ولماذا لم تنم ! كيف قضيت لياليك ؟
فضحك وقال :
— الا تثقين بقولي ٠٠ ؟ أؤكد لك انى لم اقفز الى السطح ٠٠ لا انكر انى تسلقت ماسورة المياه ولكني لم اقفز ٠٠ كانت الماسورة قديمة غير ثابتة وكادت أن تهوى

بى ولكنى لحسن الحظ تمكنت من أن اثب الى شجرة قريبة فى الوقت المناسب . . والا لكنت الان جثة هامدة .

ــ ألست أنت الذى سطا على ادارة الأمن العام ؟

فتظاهر بالدهشة وقال :

ــ أنا . . ؟ ومن أنبأك بهذا ؟

ــ لماذا تسلقت ماسورة المياه ؟

ــ لاصطاد عصفورا .

ــ سيمون . . !

فتنهد فى يأس وقال :

ــ ما دمت تصرين على معرفة الحقيقة فاعلمى اذن انى تسلقت ماسورة المياه لانى اريد ان اصير سباكا !

ــ انك متعب . !

فأخذ يدها وضغطها فى رفق وهو يقول :

ــ أتصدقيننى اذا قلت لك ان الملف سرق أول أمس من ادارة الامن العام وانى لم اتسلق الماسورة الا أمس الا بعد منتصف الليل ؟

ــ انى أصدقك طبعا . . انى أومن بكل كلمة تنطق بها .

ــ اذن استعدى للصدمة . ! سيتزعزع ايمانك فى . . ؟

واخرج من جيبه مظروفا قدمه اليها فالقت نظرة سريعة على الاوراق التى به ثم تمتمت تقول :

ــ يالك من مخادع . . ؟

ــ لم أقل لك أن ايمانك بى سيتزعزع ؟

ــ ولماذا لم تصارحنى بالحقيقة من أول الامر ؟

ــ اية حقيقة ؟

ــ أنك أنت الذى سرقت الملف ؟

فقال القديس فى بساطة :

ــ لو اننى قلت انى انا الذى سرقت الملف لكنت كاذبا . . ؟

ــ وكيف تكون كاذبا وها هو ذا الملف بين يديك . . اذا كنت لم تسرقه فكيف جئت به . . ؟

فلم يجب تمبلار على سؤالها وانما قال :

ــ أرأيت هذا الفرخ الاخير . . ؟

ــ نعم . . انه أبيض خال من الكتابة .

ــ ولكن اهميته لا تقدر بثمن . . يحكى ان رجلا مجهولا نزع من ملف جيل تريلونى المحفوظ فى ادارة الامن العام أوراقا معينة يهمه أن تختفى . ولكنه تحاشيا لاثارة الشبهات وضع مكان الاوراق المنزوعة اوراقا بيضاء حتى تظل للملف ضخامته المألوفة . . وهذه الورقة البيضاء جئت انا بها من نفس المبلوكوت الذى اخذت منه الاوراق التى دست فى الملف فى ادارة الامن العام . . ما عدا هذه الورقة (واخرج من جيبه ورقة أخرى بيضاء) فاحدى الاوراق التى دست فى الملف .

ــ ولكن كيف حصلت عليها ؟

ــ ان جواسيسى واعوانى منبثون فى كل مكان .

وساد الصمت برهة ثم وضعت الفتاة يدها فى رفق على كتفه ونظرت فى عينيه وهى تقول :

ــ سيمون . ! انك مقدم على لعبة كبيرة . . واحب أن اعرفها . !

ــ ان الاوراق التى سرقت من الملف مستندات ذات خطورة كبيرة فهذه مثلا (واخرج ورقة من المظروف) هى الرسالة الاصلية التى قيل ان اباك كتبها على الالة الكاتبة وارسلها الى العصابة وضمنها اسم اليوم الذى نوى فيه البوليس مداهمة مقرها . . وهذه الرسالة كما ترين كانت اكبر قرينة ضد أبيك . . فاذا اختفت هذه الوثيقة وامثالها

استحال على الشهود السابقين أن يذكروا الشيء الكثير مما حدث أو أن يجدوا عنه بديلا ٠٠ وفي هذه الوثائق أدلة لم يفطن لها المحققون فيما مضى ٠٠ وهي أدلة تثبت أن أباك كان مظلوما وأنه كان ضحية مكيدة مدبرة ببراعة ٠٠٠ ففي اختفاء هذه الوثائق مصلحة لأولئك الذين دبروا هذه المكيدة حتى اذا فرض وقرر مدير البوليس ـ لسبب ما ـ اعادة التحقيق من جديد لم يجد الوثائق التي يمكن أن تلقي ضـــوءا جديدا على ذلك الحادث القديم فتظل التهمة عالقة بأبيك ٠ ويأمن المتآمرون انكشاف دسيستهم ٠

ـ ولكن لـــماذا يأمر مدير البوليس باعادة التحقيق ؟

ـ أليست هذه بغيتك ؟ ألم جمعت حولك ملائكة العذاب من أجل هذا الانتقام من أولئك الذين كادوا لأبيك !

ـ وقد قتل منهم اثنان : استيفن ويلد واللـــورد استندين ٠

فقال القديس في صوت عميق :

ـ ولكن بقي الثالث ٠

ـ اني لم أكتشف شخصيته حتى الآن ٠٠ وكل ما في الامر اني موقنة من أنه موظف في ادارة الامن العام ٠

فابتسم تمبلار وقال :

ـ أما أنا فأعرفه ٠ !

فاجفلت الفتاة وقالت :

ـ حقا ٠ ؟ من هو ٠ ؟

ـ لن أذكر اسمه لك حتى لا تبادري الى قتله ٠٠ اني أريد أن أنتزع منه اعترافا قبل أن يموت ٠ ! واستنادا الى هذا الاعتراف سيأمر مدير الامن باعادة الاعتبار الى اسم أبيك وتبديد هذه التهمة الشنيعة التي علقت به ٠

وساد الصمت برهة ٠

ثم تكلمت الفتاة قائلة :

ـ سيمون ٠٠ لماذا ادمجت نفسك في أمري ٠ ! لماذا تبرعت بمساعدتي ٠ ان ملائكة العذاب ما اجتمعوا حولي الا لانني كنت أنقدهم أجرا ٠٠ أما أنت ٠٠ ؟

ـ أما أنا ٠ فأحبك !

وضحك ثم اردف قائلا :

ـ أحبك وان كان حبا بلا رجاء ٠٠ اني اعلم أن لك « طفلا » ينتظرك في الولايات المتحدة ٠ أعني ذلك الحبيب الموفق السعيد الحظ ٠ انك تحبينه وهو يحبك وانا اعلم انك ستعودين اليه ٠ ولكن هذا لا يمنعني من أن أحبك وأساعدك ٠

فمدت اليه يدها وقالت في صوت غريب النبرات :

ـ سيمون الا تحب ان تقبل يدي ٠ ؟

فلم يتكلم ٠ ولكنه رفع يدها الى شفتيه في خشـــوع وتقديس وقبلها وكانت تنظر في عينيه ٠

ثم نهض واقفا فجأة وقال :

ـ اسمحي لي بالانصراف ان أمي تنتظرني في البيت واخشى ان تضربني اذا تأخرت ٠

وضحك وكذلك ضحكت الفتاة ٠

ولكنه حين خرج ٠٠ وانصفق الباب خلفه ٠ غاضت الابتسامة فتبددت الضحكة أما الفتاة فوقفت خلف الباب وتنهدت ٠

الفصل العشرون

بعد انصراف سيمون تمبلار بثماني ساعات دق الجرس فاجفلت الفتاة واستولى عليها القلق ٠ كانت تعلم ان لدى تمبلار مفتاحا خاصا فما به من حاجة الى دق

الجرس .. وكانت تعلم انه اسكنها بيتا لا يعرفه أحد من رجال البوليس انه ملك للقديس ٠ !

فمن يكون الطارق اذن .. الا يحتمل ان يكون بعض رجال الشرطة قد تعقبوا القديس عند حضوره فعرفوا سر المخبأ وجاءوا الان للقبض عليها ٠

على انها لم تجد بدا من ان تفتح الباب .. فلو كان رجال البوليس هم القادمين لما وسعها ان تهرب على اى الاحوال ٠

كان الرجل الذى على عتبة الباب ضئيل الجسم اسود الشارب تنم هيئته على انه ليس فرنسيا وحين تكلم دلتها لكنته على انه ايطالى ٠

ـ الست انت مس تريلونى ٠٠ ؟

فاحنت راسها ايجابا اذ لم يكن ثمة ما يدعوها الى الانكار لاسيما ان « ايطالية » الرجل تنفى عنه الشبهة فى ان يكون شرطيا ٠

ـ انى قادم من طرف مستر تمبلار لقد قبض عليه

فامتلأ صدرها خوفا وقالت فى صوت مخنق :

ـ قبض عليه ؟ متى ؟

ـ على مقربة من هذا البيت عقب انصرافه فى هذا الصباح ٠

لقد قابلنى بالامس وانبأنى بأنه يريدنى لعمل ما فلما لقيته صباحا جاء بى الى هنا ولكنه دخل اليك وحده وامرنى بانتظاره خارجا ٠ ولما انصرف سرنا معا قليلا وعلى حين فجأة تقدم اليه رجل فى ثياب ملكية وقبض عليه ٠

ـ وهل طلب منك مستر تمبلار ان تحضر الى ؟

ـ كلا ٠٠ لم يكن فى وسعه ان يتكلم ولكنه نظر الى ففهمت ٠

ـ ما اسمك ؟

ـ انطونيو موريتو ٠٠ قلت لك انه نظر الى فادركت غرضه فتبعته فى سيارة أخرى ولما اقتربنا من ادارة البوليس مد مستر تمبلار يده من نافذة سيارته واسقط ورقة على ٠ فاوقفت سيارتى على الفور والتقطت الورقة ٠

واخرج من جيبه ورقة قدمها الى الفتاة فقرأتها فكان هذا نصها :

« انتظرونى فى سيارة عند ادارة الامن العام فى الساعة العاشرة ـ تمبلار » ٠

ـ ولماذا لم تأت الى بهذه الرسالة من قبل ما دامت قد وصلت الى يدك عقب انصرافه صباحا ؟

ـ كان ينبغى ان اعد السيارة قبل كل شىء ٠٠ وهى الان عند الباب فى الانتظار ٠

وبعد لحظات كانت جيل تريلونى فى السيارة والى جوارها انطونيو موريتو ٠ والسائق ينهب الارض نهبا وكانت ستائر السيارة مسدلة فقالت جيل :

ـ ارفع هذه الستائر ٠

ـ انى اخشى ان يراك احد من رجال البوليس ٠

وكانت جيل غارقة فى خواطرها تفكر فى هذه النكبة الجديدة التى حلت بالقبض على تمبلار ولم تنتبه الا حين هدأت السيارة من سرعتها وسمعت صوت موريتو يقول :

ـ لقد وصلنا .. والان اسمحى لى بأن اضع هذه العصابة على عينيك فحدجته بنظرة ساخرة وقد انكشفت لها الحقيقة ٠ عرفت انها استدرجت الى فخ نصب لها ٠٠ وقالت هازئة :

ـ اذن فهذا هو سر المسألة !

ومدت يدها الى منطقتها واخرجت مسدسا فصوبته

اليه وهى تقول :

ـ لقد اخطات بانطونيو موريتو حين ظننتني فريسة سهلة ! فلم يفزع أمام المسدس المصوب اليه وانما قال :

ـ اسمحى لى بأن اذكرك بانى تمكنت اثناء الطريق من أن انشل المسدس وافرغه من الرصاص .

وبسط اليها يده فاذا فيها ست رصاصات .

واضطرت الى الاذعان لعصب عينيها وامسك بيدها وانزلها من السيارة ودخل بها بيتا وهو يرشدها وينبهها كلما همت بان تصعد سلما وتهبط سلما حتى انتهت الى مكان امرها بالجلوس واحست بالمقعد وهو يدفعه عند ساقيها فجلست .. ثم شعرت به وهو يشد وثاقها ويربطها فى المقعد .. وعند ذلك فقط رفع العصابة عن عينيها .

واجالت عينيها فى ارجاء الغرفة فلم تجد فيها الا منضدة وبضعة مقاعد وفراشا .

ونظر اليها الايطالى باسما وقال :

ـ ان وثاقك محكم فلا سبيل لك الى الفرار .. والآن اسمحى لى بان اغيب لحظة لاصرف صديقى السائق ثم اعود اليك .. انى لى معك حديثا طويلا .. وحديثا لذيذا .

وخرج من الغرفة .

ولم تنم جيل لما وقعت فيه .. بل كانت على النقيض راضية مغتبطة اذ رجح لديها ان القديس حر طليق .. وان الايطالى ما زعم أنه مقبوض عليه الا تحايلا منه لاستدراجها .. وما دام القديس طليقا فحسبها هذا من وتياعا .

على انه قد يخف الى نجدتها فى الوقت المناسب .. ولكن هذا الرجاء ما لبث ان تبدد من نفسها اذ اعتاد لمبلار

أن يزورها فى البيت يوما بعد يوم .. وقد انصرف فى الصباح .. منذ بضع ساعات فمن المحال ان يعود الى البيت فى نفس اليوم .. ومن المحال ان يفتقد وجودها .

وبعد نصف ساعة فتح الباب ودخل انطونيو موريتو .

وكان يحمل زجاجة من الخمر .. وقال باسما :

ـ لقد انصرف صديقى .. بعد ان تحايلت عليه واقنعته بصعوبة ولكنه سيعود بعد ساعتين .. وحسبى منك هاتين الساعتين ! اظنك متلهفة الى معرفة نواياى ؟

ـ كلا بكل اسف !

ـ اتعرفين ما الذى سيحدث لك ؟

فاجابته فى برود :

ـ قلت لك ان الامر لا يهمنى .

ـ بل يهمك !

وارسل بصره الى الفراش القائم فى ركن الغرفة ثم قال :

ـ الا يروقك الفراش ؟ هل احضر كاسين للخمر ؟

وسرت الرعدة فى اوصالها وقد ادركت نواياه الشريرة .. وجعل انطونيو موريتو يلتهمها بنظراته .

ثم قال :

ـ كانت مهمتى ان استدرجك لاقتلك .. لقد نقدت اجرا كبيرا لاجهز عليك وقد وعدونى ايضا بعدم ابعادى الى ايطاليا .. وان امكن من السفر الى اى بلد اشاء .

تحملقت فيه وقالت :

ـ ومن الذى وعدك بهذا ؟

ـ رجل لا اريد اطلعك على اسمه .. ولكنى رايتك وانت مطلة من النافذة فراقنى جمالك وشبابك فقررت لا اقتلك وانه خير لى ان اتذوق هذا الشباب .

ونظر الى الفراش مرة اخرى

اني اقدر الجمال ولهذا احضرتك الى بيتي .. ! وباختفائك سيعتقد البوليس انى تتلتك غيرضى عنى ويلغى امر النفى .. وفى الوقت ذاته استمتع بشبابك وجمـــالك .

وكانت عيناه تلتمعان في وحشية :

ـــ اذا شئت ان تصرخي فاني لن امنعك .. ان البيت خال ولن يخف الى نجدتك احد ولكن اذا وعدتني بان تكوني خفيفة معى حللت وثاقك فما هو رايك ؟

وقبل ان تجيب دق جرس الباب ·· وكان الرنين شديدا متواصلا

الفصل الحادي والعشرون

لا شك ان انطونيو موريتو كان قد اعتقد أن الطارق هو صديقه السائق وقد رجع اليه ليضايقه ويزعجه .. ولهذا حملق في ذهول حين راى امامه القديس :

وغمغم الايطالى قائلا :

ـ ماذا تريد ؟

ـــ اريد ان ادق عنقك .

ودفع الباب ودخل وهو يقول :

ـــ أرجوك ان تتجاوز عن تطفلي وفضولي ولـــكن الا ترى ان الوقت قـــد حان يا ســـنيور لكى تدع مس تريلوني تعود الى دارها ! ؟

ـــ انى لا اعرف سيدة تدعى مس تريلوني .. !

فقال تمبلار متظاهرا بالدهشة :

ـ لا تراوغ ياعزيزى السنيور الكذاب تصور ما يمكن ان يقوله القسيس اذا ما عرف ان فى بيتك امرأة حسناء .

ـ اني لا افهمك ياسيدي ؟

ـ حقا ·· لقد انبأني صديق لك بأنه اتى بمس تريلوني الى هذا البيت ·

قلت لك ان ··

ـ دعني اتأكد من الامر بنفسي ·· الا تسمح لى بأن القى نظرة على المسكن ؟

فاعترض الايطالي طريقه وصاح قائلا :

ـ كلا ·· انى لن اسمح لك بذلك ،

ـ انك ياسنيور انطونيو موريتو رجل مجرد عن الذوق فأبى ان ترحب بضيوفك ·

وفجأة ظهر مسدس فى يد تمبـلار .. واسـتطرد يقول :

ـــ انى لم اتعود حمل هذه اللعبة .. وقد قيل لى ان الانسان اذا ضغط هذا الزناد انطلقت رصاصة .. وان هذه الرصاصة يمكن ان تكون قاتلة .. ولست ادرى اذا كان هذا القول صحيحا ام لا ولكني على استعداد لان اجرى هذه التجـربة .. الان .. ! فهـل انت على استعداد ؟ ولكن خبرني .. ما هى فكرتك . ؟ هل انت عاشق . ؟ هل تريد ان تمثل روايـة كالروايـات التى شاهدتها فى السينما حين يخطب البطل الفتـاة التى يحبها .. والان هيا بنا .. اصعد امامى .. والويل لك اذا عرفت انك أسأت السلوك معها . هيا بنـا ياارودلف فالنتينو .. أم لعلك كلارك جابل . !

وفى الغرفة كانت جيل جالسة على المقعد وهى مشدودة الوثاق

ـــ حل هذه الاربطة . ا هل ضايقك هذا الدون جوان جيل .. ؟

ـــ نعم ..

— الويل لك اذن . ! سأقتلك . !

— ولكنك وصلت في الوقت المناسب قبل ان تمتد يده الى بالسوء .. فارجوك ان تدعه .

— اذن سأصفح عنه . ! لو انني تأخرت لحظة .. ولكن حدثيني اولا بما وقع .

فحدثته بما كان . فالتفت القديس الى مورينو قائلا :

— اتريد ان تقول ان البوليس هو الذي حرضك على ان تقتل مس تريلوني . ؟ وهل تريد مني ان اصدق هذه الاكذوبة . ؟

فقال الايطالي وهو ينظر الى المسدس المصوب اليه:

— اقسم لك ان تلك هي الحقيقة يا سيدي .

— ومن الذي عهد اليك بهذه المهمة . ؟

— مستر كوليس

فهتفت جيل في دهشة :

— مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام ! ؟

فقال تمبلار في هدوء : هو بعينه .. وليس في الامر ما يدهشني .

— ولكن خبرني .. كيف جئت لتجدني . ؟

— كنت ذاهبا الى مقابلتك في شلسيا حين رأيتك تخرجين وتركبين السيارة مع هذا الايطالي فتنطلق بكما . ولم يكن في وسعي ان اتعقبها اذ لم تمر بي سيارة اخرى في هذه اللحظة . ولكني استطعت لحسن الحظ ان التقط رقمها واخذت اتحرى حتى اهتديت الى الموقف الذي اعتادت هذه السيارة ان تختلف اليه ولما وجدتها هناك واستطعت ان ارغم السائق على الكلام . ولكن هذه التحريات استغرقت مني بعض الوقت كما ترين فلم اصل الى نجدتك الا الان .. فهيا بنا الى منزلي في شلسيا .

— وانطونيو مورينو . ؟ ماذا تنوي ان تفعل به ؟

— سأذهب به الى منزلي في شارع بلجريف فان لي معه حديثا .

ومضى تمبلار بالفتاة الى بيته في حي شلسيا فتركها هناك ثم انطلق الى مسكنه في شارع بلجريف ومعه انطونيو مورينو . وبعد ساعة رجع وحده الى الفتاة ثانيـة .

وتلقته جيل بقولها :

— حدثني بما جرى بينك وبين مورينو .. فيم كان حديثكما ؟

— تحدثنا عن المكرونة الايطالية واتفقنا على انها افضل الاصناف

— الا تنوي ان تكون جادا يوما ما ؟ الا تريد ان تصارحني بسر هذه اللعبة الجديدة التي تدبرها ؟

فضحك وقال : ان القديس لا يحب ان يطلع احدا على اسراره .. اعتصمي بالصبر قليلا .. ومع ذلك فيمكنني ان احدثك بما كان بيني وبين انطونيو مورينو .. انه شاب طيب القلب .. وتبدو طيبته حين يشرب الخمر .. وقد شرب ! لقد افهموه انك مشاكسة سياسية تثيرين في وجه الحكومة مشاكل وعقبات وطلبوا منه ان يزيلك من الطريق . ولكنني افهمته خطأه . وقصصت عليه حكاية اخرى عجيبة .. بل اقمت الدليل على صحتها .

— وما هو هذا الدليل ؟

— لقد نسيته الآن . ! ومهما يكن من الامر فقد اقتنع مورينو باقوالي اقتناعا تاما . واكبر ظني انه سينطلق الان في اثر مستر كوليس وفي يده مسدس محشو .. ان مورينو كما قلت لك رجل طيب .

فاشعلت الفتاة سيجارة وقالت : استمر .

— مورينو رجل طيب ومستر كوليس ماكر داهية ، فاذا تنتك مورينو واستطاع الفرار انتهى الامر بسلام ، اما اذا قبض عليه واراد ان يقول للناس ان وكيل ادارة الامن العام هو الذى حرضه على ارتكاب هذه الجريمة فلن يصدقه احد . ! انها كما ترين مؤامرة سهلة ومحكمة .. واؤكد لك ان صديقى العزيز سيسر بسماع هذه الحكاية .

— ومن يكون هذا الصديق العزيز .. ؟

— عمك فرانسوا .. انى لم اسمع ان ..

— كلا .. انه ليس عمى بالمعنى الصحيح ولكننى اطلق عليه هذا اللقب .. وهو يحبنى اشد الحب ويعطف عليك كثيرا ويؤيدنى فى سعيى لانقاذ سمعة ابيك .

— ولكن من هو .. ؟

— العم فرانسوا .. ؟

— نعم من هو العم فرانسوا .. ؟

— العم فرنسوا .. هو العم فرانسوا .. !

فتنهدت الفتاة وقالت : انك متعب يا سيمون .

— فى بعض الاحيان . ولكنك ستعرفين كل شىء فى الوقت المناسب ويكفى ان تعلمى الان انى اوقف العم فرانسوا اولا بأول على كل حادث يقع .. وقد ضحك كثيرا حين رويت له حكاية الملف الذى سرق من ادارة الامن العام .

تحدجه الفتاة بنظرة ثابتة وقالت :

— الملف الذى سرقته « انت » من ادارة الامن العام .. ؟

— بل الذى سرقه مستركوليس .. !

— مستر كوليس .. !

— نعم .. كنت اراقب بيته اول امس وقد رأيته يعود

وهو يحمل حزمة من الاوراق لم اعرف حقيقتها فى تلك اللحظة . ولكن حين سمعت فى الصباح بان ملفك سرق من ادارة الامن خمنت على الفور ان تلك الاوراق التى حملها مستر كوليس الى داره انما هى الاوراق التى انتزعت من ملفك . !

— ولكنك لم تخبرنى كيف انتهى اليك ان ملفى سرق .. ؟

— لقد استعنت بالعراف .. انه رجل بارع يقرأ المستقبل كما يقرأ الانسان كتابا مفتوحا .. وبالامس ذهبت الى بيت كوليس مرة اخرى وانسللت اليه على الرغم من اجراس الانذار المثبتة فى نوافذ الطابق الارضى ، وسرقت الاوراق كما رأيت من المخبأ السرى الذى أودعها فيه .

الاوراق التى سرقتها هو من ملفك .. وهكذا سرق اللص لصا وذهبت مثلا .. !

وسكت تمبلار برهة ثم استطرد يقول :

— ان مستر كوليس يخشى ان يعاد التحقيق فى حادث ابيك مرة اخرى ولهذا سرق ملفك حتى تنعدم الوثائق الخاصة بهذا الحادث القديم . وهو يعرف انك امرأة خطرة فاستأجر انطونيو مورينو ليقتلك .. !

— اتريدان تقول ان مستر كوليس هو الموظف فى ادارة الامن العام الذى اشترك فى تدبير المؤامرة ضد ابى .. ؟

— تلك هى الحقيقة بعينها .. ومن الغريب انك لم تفهمى ذلك الان .. الم تفطنى يا عزيزتى الى انه لم يكن بين موظفى ادارة الامن العام الا اثنان كانت لهما صلة بمسألة ابيك وهما المدير والوكيل .. فاذا استبعدنا المدير بقى لدينا مستر كوليس .. ! ولقد كان فى وسع كوليس ان يكتب الانذار الموجه الى العصابة على الالة

الكاتبة الموجودة في مكتب ابيك .. وكان في وسعه أن يتصل به بقادا صوت المدير ليأمره بالسفر الى باريس بالطيارة للقبض على ويلدستين .. وهو ايضا الذي فتح خزانة ابيك واخرج منها رزمة الاوراق المالية التي اثبتت ارقامها انها من أموال ويلدستين التي سحبت من البنك منذ بضعة أيام .. فما دام أن في وسع كوليس ان يفعل هذا وما دام انه احد اثنين كانت لهما صلة بالتحقيق مع أبيك فلا بد أن يكون هو الشريك المجهول ما دامت الشبهات لا يمكن أن ترقى الى مدير الامن العام نفسه ..

فقالت الفتاة في دهشة : ولكن متى فكرت في كل هذا .. ؟

ــ في اوقات فراغي .. ! ولكن المهم الان اننا عرفنا عن يقين ان مستر كوليس هو الشريك المجهول .. وسأكتب اليه خطابا اطلعه فيه على هذا الاكتشاف الخطير وسأكون متواريا في الحديقة حين يصله الخطاب حتى اتفرج على وجهه وهو يتلو الخطاب . وأؤكد لك انه سيكون منظرا طريفا !

الفصل الثاني والعشرون

انصرف سيمون تمبلار وترك الفتاة فريسة للقلق والحيرة اذ ابى أن يطلعها على الخطة التي ينوى ان ينتهجها .. ولكنها لم تكن من الطراز الذي يقنع بمقعد خلفي .. ! كان لابد لها ان تعمل شيئا .. لقد لبثت ثلاث سنوات تتولى قيادة ملائكة العذاب فلن ترضى الان لنفسها هذا الموقف الجامد الساكن الذي كاد يجعلها بلا رأى ولا ارادة .

واخذت تذرع الغرفة ذهابا وايابا

وخطر لها فجأة ان تبدأ بمهاجمة مستر كوليس فتأخذه على غرة قبل ان يبدأ هو هجومه وقد استعد اتم الاستعداد ؟ لم لا تذهب الى داره فتغتصب مكتبه وتفحص أوراقه علها تجد فيها الدليل على براءة أبيها من تلك التهمة الملفقة التي أخذ بها .

ومشت الى دولاب في ركن القاعة كانت تعلم ان تمبلار يضع فيه مجموعة كاملة من مختلف الثياب والازياء وادوات التنكر .. فاختارت لنفسها ثوبا من الطراز الذي يرتديه الرعاع وثنت أطراف البنطلون لطولها وثبتتها بالدبابيس .. ثم غادرت البيت وهي في هذا الزى فلو ان احدا من رجال البوليس رآها لما خطر له أن هذا الشاب الصعلوك هو جيل تريلوني التي يبحث عنها البوليس بتهمة القتل

وكانت مبتهجة راضية عن نفسها وهي تطوى الطريق .. لقد ملت حياة الكسل والتراخي التي امضتها في الدار .. وها هي ذي تعود الان ثانية الى النضال والكفاح .. ها هي ذي تعود الى الحياة !

ولم تشعر بالتعب وهي تقطع هذه المسافة الطويلة اذ كانت تفكر في شيء واحد .. في اقتراب النهاية وفي دنو ساعة الانتقام . فما انتهت الا وقد صارت على قيد أمتار من بيت مستر كوليس .

ووقفت تستتر بالاشجار واشعلت سيجارتها وجعلت تنظر الى البيت .. كان اقتحامه سهلا في نظرها .. وشكر لتمبلار على ان أنبأها عرضا في حديثه بأن نوافذ الطابق الارضى مزودة بأجراس الانذار .. وشكر ايضا على هذا الرسم التفصيلي لمسالك البيت وقاعاته وهو الرسم الذي وجدته صدفة على مكتب تمبلار حين ذهبت تنشد كتابا تشغل نفسها بقراءته .

وتخطت جيل سياج الحديقة ومشت فى حذر بين الاشجار حتى دنت من الجدران فتسلقت انبوبة المياه فى خفة ورشاقة كأنها ولدت فى سيرك وتجاوزت نوافذ الطابق الارضى المزودة بالاجراس المنذرة . وانسلت الى الداخل من نافذة فى الدور الاول

ووقفت فى مكانها لا تتحرك مرهفة اذنيها فلما لم تسمع صوتا او حركة فتحت الباب فى حيطة وخرجت واخذت تهبط السلم مستعينة بخيط دقيق من النور كانت ترسله من مصباحها الكهربائى ما بين لحظة واخرى .

ولما بلغت قاعة المكتبة أوصدت بابها واسدلت ستائرها ثم اشاعت النور . وبحثت عن مجمع اجراس الانذار فعطلتها عن الحركة ثم فتحت احدى النوافذ وتركتها مفتوحة حتى تكون وسيلة سريعة الى الفرار اذا ما حاق بها اى خطر .

واخذت تجيل عينيها فى ارجاء القاعة بحثا عن المخبأ السرى الذى أشار اليه تيبلار فى حديثه .. واقتربت من المكتب فوجدت أدراجه مفتوحة فلم تحاول ان تفحص محتوياتها اعتقادا منها بأن مستر كوليس لا يمكن أن يحتفظ بوثائق خطيرة فى مكتب مفتوح الادراج .

ولكن اين المخبأ السرى اذن ؟

وفطنت الى ان سمك حافة المكتب اكبر من المألوف فأخذت تفحصها وتعالجها .. واصابت يدها الزر المنشود فانشقت الحافة وانكشفت عن مخبأ سرى يشغل الجزء الاكبر من فراغه صندوق مستطيل من الحديد .

ومدت جيل يدها لتفتح الصندوق .. وفى تلك اللحظة سمعت حركة .. وحين رفعت رأسها وجدت الباب قد انفتح فجأة وظهر مستر كوليس على عتبته وفى يده مسدس مصوب اليها

وكان مسدسها هى ايضا فى يدها .. وكان مصوبا الى مستر كوليس .

وقال لها فى خشونة : ماذا تريد ؟

اذ ظنها رجلا وهى فى هذه الثياب .. ولكنه حين اقترب منها وتأمل وجهها هتف يقول : جيل تريلونى .. !

وتحرك اصبعه ليضغط الزناد فقالت له الفتاة فى رباطة جأش :

ـ لا تنس ان فى يدى مسدسا انا ايضا .. ومع ذلك فيحسن ان تسمع منى قصة صغيرة قبل أن تطلق على النار ..

ـ ولماذا ؟

ـ لانها قد تنقذك من ارتكاب حماقة لا مبرر لها

ـ شكرا على هذا العطف !

واسترسلت الفتاة تقول :

ـ اتحسبنى يا كوليس من الحماقة بحيث اقتحم بيتك وحدى ؟ أتظننى ساذجة الى هذا الحد ؟ اين اذن ذكاؤك المظيم ؟ ام لعلك نسيت القديس ..

واختلجت عيناه . وكانت هذه الاختلاجات دليل القلق الذى تسرب الى نفسه ولكنه لبث جامدا لا يتكلم :

ـ انى لم احضر وحدى . ! انى أعرف عن نفسى الشجاعة وقوة الاعصاب ولكن اقتحام بيت وكيل ادارة الامن العام امر لا طاقة لى به . ولهذا رافقنى القديس .. لقد تركنى فى هذه الغرفة وذهب يبحث عنك .. لست ادرى كيف لم تلتقه فى طريقك الى هذه القاعة .. ولكن القديس شيطان ماكر انه لا يدع خصمه يراه او يسمعه .. انه كالقطة .. تثب فجأة من احشاء الظلام دون ان يسمع لها احد صوتا ! من المحتمل انه رآك فى المشى ، او على السلم . ولكنه لم يشأ ان يظهر نفسه

لك .. بل تبعك فى حذر .. كأنه شبح من الاشباح ، ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض عليك . ومن المحتمل انه خلفك الان (وتهدجت نبرات صوتها) . نعم . انه الان خلفك تماما . هيا . اضرب يا سيمون .. !

ونطقت جملتها الاخيرة فى صوت داو رهيب .. ووقع كوليس فى الفخ .. وقع ثانية واحدة .. وكانت هذه الثانية هى كل ما تبغيه جيل تريلونى فحين ادار راسه الى الخلف ليرى تمبلار ضغطت الزناد فانطلقت رصاصة . واصابت الرصاصة ابهامه فسقط المسدس من يده على الارض وصرخ متوجعا .

وتكلمت جيل قائلة :

ــ كانت خدعة صغيرة ولكنك وقعت فيها بحماقة كان فى وسعى ان اقتلك ولكنى تعمدت ان اكتفى بتجريدك من سلاحك لاننى ما زالت فى حاجة الى اعترافك . ! ولكن اياك ان تتحرك والا فالويل لك .

وتراجعت الى النافذة ومسدسها مصوب اليه . ثم قفزت الى الخارج وانطلقت تجرى فى الظلام . وتعالى صوت صفارة البوليس يشق السكون وسمعت دوى طلق نارى ومرت رصاصة الى جانب اذنها ولكنها اخطأتها فما كان فى وسع كوليس ان يصيب الهدف والظلام ضارب فى اطنابه .

وحين تخطت سياج الحديقة ووثبت الى الطريق شعرت بيد توضع على كتفها وسمعت صوتا يقول :

ــ انى اقبض عليك باسم القانون فهيا بنا الى سيارتى .

ولم تفزع الفتاة .. ولم ترتعد .. لان هذا الصوت كان صوت القديس .

الفصل الثالث والعشرون

كانت جيل تعلم انها كانت وشيكة بان تقع فى ايدى البوليس او مستر كوليس لولا ان وجدت القديس عند سياج الحديقة فابتعد بها عن مكان الحادث فى سيارته .

والتفت اليها تمبلار وقال باسما : من حسن حظك انى كنت موجودا فوفرت عليك اجر سيارة التاكسى .

فاخذت الفتاة بيده وضغطتها فى رفق .

واسترسل القديس يقول عندما غادرتك مضيت الى بيتى فابدلت ثيابى ثم حضرت فى اللحظة التى دوى فيها طلقك النارى .. هل قتلته .. ؟

وقد القى اليها هذا السؤال فى بساطة كمن يسأل عن الساعة فضحكت وقالت :

ــ لم احاول ان اقتله .. ! اردت فقط ان اسقط المسدس من يده .

ــ وما الذى فعلته داخل البيت ؟

ــ اكتشفت المخبأ السرى ولكنه فاجأنى قبل ان افحص محتوياته .

ــ اما انا فلم يفاجئنى .

فقالت الفتاة تسأله فى لهفة وماذا رايت فى المخبأ السرى ؟

ــ اوراق .

ــ ما مضمونها .

ــ ان ذاكرتى ضعيفة كما تعلمين .

فحدجته بنظرة لوم وعتاب وقالت :

ــ اتنوى ان تستمر دائما على هذا التكتم ؟

ــ كلا بالطبع ولكن دعينا الان نتحدث عن الجو اتعتقدين ان فى الافق ما ينذر بهبوب العاصفة ؟

فلم تجبه على سؤاله وانما قالت :

ــ اوجدت فى المخبـــا السرى برهانا على اشتراك مستر كوليس فى المؤامرة التى لفقت ضد ابى ؟

ــ وهل تعتقدين ان كوليس من الغباوة والغفلة بحيث يحتفظ بمثل هذه الادلة .

ــ اذن فلا فائدة لى كل هذه المحاولات التى قمت بها ما دام الدليل معدوما .

ــ ولكن كوليس سيتكلم ويعترف .

ــ ومن الذى سيرغمه على الاعتراف .

ــ انا

ــ وكيف ترغمه ؟

فضحك وقال : سأنومه نوما مغناطيسيا ثم آمره بان يتكلم .

ثم التفت اليها فجأة وقال :

ــ الك اعتراض على ان ندعو البوليس يقبض عليك ؟

ــ ولمـــاذا يقبض على ؟

ــ لان القبض عليك شطر من الخطة التى انتويها .

ــ اذن فلا اعتراض لى ..

وذهب بها تمبلار الى بيته فى شلسيا فتركها هناك ثم مضى الى داره فى شارع بلجريف فاودع السيارة جراجا قريبا ومشى الى الدار وعندما اقترب منها ارسل بصره الى النوافذ ثم وقف جامدا فى مكانه .

وتناول حجرا كبيرا طوحه بشدة فى الهواء حتى اصاب زجاج احدى النوافذ فهشمها . ثم تناول حجرا ثانيا هشم به زجاج نافذة اخرى ثم نافذة ثالثة .

وشعر بيد تستقر على كتفه وسمع صوت ممثل القانون يقول :

ــ هيه ماهذا ؟!

كلورين .. غاز سام .. اذا استنشقه الانسان مات

فقطب الكونستابل جبينه وقال :

ــ لقد رأيتك تحطم هذه النوافذ .

ــ وهل راقتك اللعبة ؟ انها نوافذى فهل ثمة من حرج على اذا انا حطمتها !

فنظر الشرطى الى النوافذ ورأى سحابة خضراء اللون تتسرب منها فقال :

ــ وكيف دخل الغاز فى هذا المسكن ؟

ــ ادخله وكيل ادارة الامن العام الذى يحقد على . فلو اننى ولجت مسكنى لكنت الان جثة هامدة ولكنى ذكرت عندما تطلعت الى النوافذ التى تركتها مفتوحة فى الصباح وعجبت كيف اغلقت وحدها .. ولمـــا تأملت الزجاج فى امعان رأيته معتما فادركت السر .

وعلى حين فجأة التمعت عينا الكونستابل وهو ينظر الى تمبلار وقال :

ــ انى اعرفك .

ــ هذا شرف عظيم لك .

ــ انت الرجل الذى خدعنى الاسبوع الماضى بحكاية الخيال الذى كان يتراءى على الستار فى هذا المسكن

ــ حقا ؟ أواثق انت اننى ذلك الرجل ؟

ــ هيا بنا الى المخفر

ــ ولمـــاذا ؟

ــ لاننى اريد ان تثبت لى ان هذا هو مسكنك حقيقة .

ولم يرجع تمبلار من مخفر البوليس الا بعد ساعة كاملة . وحين دخل مسكنه كان الغاز السام قد تسرب منها ولم يعد له فيها اى اثر لقد جاء مستر كوليس اثناء غيبته واغتصب القفل بمفتاح مصطنع فاغلق النوافذ وملأ الدار بغاز الكلورين .

وارتمى تمبلار على فراشه اذ كان متعبا وفى حاجة ماسة الى النوم . . على انه ما كاد يغفو حتى انتبه على رنين الجرس .

وكان المفتش تيل هو الطارق فقال له فى غيظ :
أهذا انت ؟

فدخل تيل وهو يقول فى عطف :

ـ هل امضيت ليلة أرقة ؟ يؤسفنى أن ازعجك .

ـ كان فى وسعك الا تزعجنى . . لماذا لم تستعمل مفتاحا مصطنعا كما فعل سواك من قبل . . أم لعلك لم تسمع بهذه الحكاية بعد ؟

ـ بل سمعت بها

ـ شكرا اذن على حضورك للاطمئنان على صحتى . وفى وسعك ان تنصرف الآن ما دمت قد رأيتنى بخير .

فقال تيل فى بطء :

ـ انك لست الشخص الوحيد الذى لقى بعض المتاعب بالامس .

ـ يجوز ؟ ان الدنيا ملأى بالنكبات .

ـ بالامس اتصل شخص مجهول الى بيت مستر كوليس وكيل ادارة الامن العام وعبث بمكتبه .. وقد انطبعت آثار الاقدام على أرض الحديقة ومن الغريب أن هذه الآثار بعينها كانت ظاهرة على رفرف سيارتك فما رأيك فى هذا ؟

فابتسم تمبلار وقال :

ـ وهل رأى مستر كوليس الشخص الذى اقتحم مكتبه ؟

ـ نعم .

ـ اذا اعرضتنى عليه وانا متأكد انه سيقرر انى لست ذلك الشخص

فابتسم المفتش تيل وقال :

ـ هذا صحيح . وأنا أيضا اعرف انك لست ذلك الشخص .

ـ اذن لماذا تزعجنى وتضايقنى ؟

ـ لقد خطرت لى فكرة .

فهتف تمبلار يقول :

ـ خطرت لك فكرة . ! يا لك من أعجوبة نادرة . ! يجب أن يذاع هذا الخبر فى الصحف . ! وسكت الصمت برهة ثم قال تمبلار : اسمع يا عزيزى كلود أوستاس انك تعرف انى احبك وأتمنى لك الخير ولذلك سأقدم اليك هدية عظيمة الثمن . اليك هذه المفكرة . انها ترجمة حرفية لمفكرة أخرى مكتوبة بالشفرة . والمفكرة الرمزية ملك للورد ستدين وسرقت منه وهو فى باريس ثم اعيدت اليه . ولكنى قبل أن اعيدها فسرت رموزها وكتبتها هنا . . فى هذه المفكرة أشياء عجيبة .. ارقام واسماء وعناوين .. فى هذه المفكرة تاريخ مفصل لعصابة من أكبر عصابات تهريب المخدرات وما لها من علاقة بأحد كبار موظفى ادارة الامن العام .. خذ هذه المفكرة الى بيتك .. واحبس نفسك فى غرفتك واقرأها فى عناية .. ثم اذهب الى مدير البوليس وقص عليه ما عرفت ولكن لا تقل اننى انا الذى زودتك بهذه المعلومات . . قل انك اكتشفتها بمحض ذكائك ونفاذ بصيرتك . . وثق انك ستجد مرتبك مضاعفا فى اليوم التالى لانه سيعتقد انك اذكى من حملت الارض من رجال البوليس السرى .

فحدجه تيل بنظرة فاحصة وقال :

ـ تمبلار انى لست غبيا انك تقدم الى هذه المفكرة فيما

لسكوتى حتى ادعك فى سلام فلا اتعرض اليك .. أليس كذلك ؟

فقال القديس ضاحكا :

ـ انك ولد ذكى يا تيل وسأوصى مدير الامن العام بزيادة مرتبك .. الى اللقاء .. أسعدت مساء .

ودفعه فى لطف الى الباب ثم اغلقه فى وجهه .

الفصل الرابع والعشرون

أمضى المفتش تيل بقية النهار وهو يتلو فى عناية المفكرة التى قدمها اليه تمبلار .. وقد اذهلته الحقائق الصارخة التى تضمنتها .. واخذ يقلب وجوه الرأى فى الخطة التى ينبغى عليه ان ينتهجها .

ولما فرغ من تناول طعام العشاء اسرع الى ادارة الامن العام وطلب مقابلة المدير فانبىء بانه غير موجود .

ـ انه لم يحضر طول النهار .

ـ ألم يبعث برسالة ما ؟

ـ كلا .

ودهش تيل اذ كان يعرف ان للمدير عادات ثابتة لا تتزعزع وكان يعرف انه على موعد اليوم مع بعض الزائرين فكيف تخلف وليس ثمة عذر ظاهر . !

ولبث تيل يعمل فى مكتبه حتى الساعة العاشرة مساء . وأخيرا حين هم بالانصراف رأى شرطيا مقبلا وفى يده رسالة برقية فقال يسأله :

ـ لمن هذه البرقية . ألى ؟

ـ كلا يا سيدى .. انها لمستر كوليس .

ـ وهلا يزال مستر كوليس فى مكتبه ؟

ـ نعم .

ـ اذن اعطنى هذه البرقية وانا اتولى ارسالها اليه .

ولكن تيل لم يذهب بالبرقية الى صاحبها وانما دخل بها الى مكتبه وسخن غلافها امام النار وفضها فى حذر وتلاها ثم ردها الى غلافها والصقه كما كان وامر احد الشرطة بحملها الى مستر كوليس .

وبعد فترة وجيزة شوهد مستر كوليس . وهو يغادر ادارة الامن على عجل .

اما المفتش تيل فاستدعى الشرطى الذى كان قد أناط به مراقبة تمبلار واقتفاء خطواته وقال له :

ـ ما لديك من الانباء عن تمبلار .. ؟ هل ضللت مرة اخرى ؟

ـ نعم يا سيدى .. كما هى عادته دائما .

ـ ومتى كان ذلك .

ـ فى نحو الساعة الرابعة .

ـ ولم يرجع منذ هذه اللحظة ؟

ـ رجع فى الساعة الخامسة .

ـ ولماذا لم تطلعنى على ما حدث ؟

ـ لانى لم اجدك وقد سألت عنك اكثر من مرة .

كان تيل فى حيرة من امره لا يدرى ماذا يصنع ؟ انه يعرف السبب الذى دفع مستر كوليس الى مغادرة ادارة الامن العام مسرعا وكان يعرف البلدة التى اتجه اليها . ولكن كيف يجرؤ على الذهاب والمفروض انه يجهل هذه المعلومات ؟

على ان تردده لم يطل كثيرا اذ ما لبث ان امر باعداد احدى سيارات البوليس السريعة وتزويدها بنفر من الرجال المسلحين .

والتفت الى السائق قائلا :

ـ طر بى طيرانا الى بلدة جيلد فورد . فاذا ما وصلنا

ارشدتك الى العنوان الذى انشده ٠

ولما قرر تيل الذهاب الى بلدة جيلد فورد الا لانه قرأ البرقية التى وردت باسم مستر كوليس وكان هذا نصها :

« حاصرت جيل وتمبلار فاحضر حالا » .

وكانت البرقية مذيلة بامضاء مدير الامن العام وقد وردت من بلدة جيلد فورد فى منتصف الساعة التاسعة .

واخذ تيل يقول لنفسه طول الطريق :

ـ ان ظاهر هذه البرقية برىء ٠٠ ولكنى اعتقد انها تنطوى على سر مكنون ٠ حاصرت تمبلار وجيل ٠ اذن لماذا لم يقبض عليهما .. لماذا لم يستعن برجال البوليس هناك ٠ ! لماذا يصر على ان يدعو اليه كوليس ٠ ! لماذا لم يرسل فى استدعائى انا آه ؛ لا .. لا .. لا ان فى الامر سرا ٠ فما هو هذا السر ٠ ؟

الفصل الخامس والعشرون

عندما تلقى مستر كوليس برقية رئيسه أسرع من فوره الى بلدة جيلد فورد وقصد الى البيت الذى ورد عنوانه فى ذيل البرقية .

وعندما أشرف على البيت الفاه صغيرا مكونا من طابقين ويقوم فى بقعة منعزلة من ضواحى القرية وعلى مسافة كبيرة من اقرب بيت اليه ٠

وكانت الانوار مضاءة فى جميع الغرف ٠

ودفع مستر كوليس باب الحديقة وعبرها حتى اذا بلغ باب البيت الفاه مفتوحا فأدهشه الامر فلما دفعه قليلا ارسل صريرا حادا وسمع صوتا يقول :

ـ اهذا أنت يا كوليس ٠

ـ وكان هذا هو صوت مدير الامن العام ٠٠ وكان صادرا من الطابق الاعلى ٠

ـ نعم يا سيدى ٠

ـ اصعد الى ٠

وارتقى كوليس الدرج مسرعا حتى اذا بلغ الطابق الثانى وجد المدير واقفا على رأس السلم ومسدسه فى يده ٠

ـ اذن فقد وصلتك برقيتى ٠

انى سعيد بان اراك .

ـ اين هما ٠ ؟

ـ فى هذه الغرفة .

وأومأ المدير بمسدسه الى غرفة موصدة الباب واسترسل يقول :

ـ لقد اغلقا الباب من الداخل وتحصنا بها ولكن لا سبيل لهما الى الفرار فالنافذة مسورة بالحديد . وانا واقف لهما عند الباب بالمرصاد ولكنهما مسلحان ومن الحماقة أن اقتحم عليهما الغرفة ٠ وقد بدأ يعالجان سياج النافذة واخشى أن يفلحا فى نشره فيفران من هناك وانا واقف هنا ٠

ـ ولكن هل انت وحدك يا سيدى ؟

ـ نعم ٠٠ وهذا هو السبب فى حرج مركزى ٠٠ اذ كيف يتسنى لى وانا بمفردى أن احرس بابا هنا ونافذة هناك ٠

وتقدم مستر كوليس الى الباب ولكن المدير العام بادره بقوله :

ـ ابق مكانك ! والا عرضت نفسك للخطر .. الا ترى هذه الثقوب في مصراع الباب .. لقد احدثتها الرصاصات التي اطلقت على .

ـ اما حاولت ان تستنجد تليفونيا ببوليس القرية ؟

ـ ليس في البيت تليفون .

ـ اذن فكيف ارسلت الى البرقية ؟

ـ وكان من حسن حظى انى لحقتهما فى القرية وسمعت القديس يذكر للسائق عنوان هذا البيت فخطر لى قبل أن اتعقبهما ان ابعث اليك بهذه البرقية .. انصت :

وانصت مستر كوليس .. وسمع ازيز المبرد وهو يجرى على سياج النافذة .

ـ انهما يحاولان برد السياج ولكن هذه العملية ستقتضى منهما وقتا طويلا فيما ارى .

فقال مستر كوليس متسائلا :

ـ ولكن كيف وقع هذا الحادث ؟

ـ وشى بهما احد اعوانهما السابقين .. رجل يدعى بوب الاحمر كان من عصابة ملائكة العذاب .. ويظهر انه طلب من جيل تربلوني مالا فلم تعبأ به فجاءني ليلة الامس فى دارى وانبانى ان شمبلار وجيل يقيمان في هذه البلدة او فى ضواحيها لانه قابلهما صدفة فى الطريق وان كان لا يعرف عنوانهما على وجه التحقيق . غير انه اكد لى انهما

موجودان اليوم فى لندن وسيمضيان فيها سحابة النهار ثم يعودان ليلا الى القرية . فجئت جيلد فورد وأمضيت الوقت فى المحطة ارقب عودتهما فلما جاءا وسمعت شمبلار يذكر للسائق هذا العنوان ابرقت اليك بالامر وتبعتهما .

ـ وحدك ؟ الم تخطر احدا سواى ؟

ـ كلا .. انك تعلم ان ليست هذه اول مرة حاولنا فيها ان نقبض على القديس فاخفقنا .. ولطالما هزأ بنا الناس والصحف بسبب هذا الاخفاق . فرأيت ان اكتم نبأ هذه المطاردة عن رجال الشرطة فى هذه القرية حتى لا يتصل الامر بالصحف فاذا منينا بالخيبة لم يدر بامرنا احد كما اننى كنت أعتقد انه كان فى وسعى أن اعالج الامر بمفردى .

ـ وما الذى حدث بعد أن تبعتهما ؟

ـ رايتهما يدخلان هذا البيت فانتظرت لحظة ثم انسللت الى الداخل من باب شرفة متصل بالحديقة . فوجدت نفسى وجها لوجه امام ذلك الايطالى المدعو انطونيو موريتو والذى صدر الامر بنفيه منذ اسبوع .. اتذكره .. ؟

فاحنى كوليس رأسه وقال :

ـ لقد امرت بارجاء نفيه وعهدت اليه بمراقبة القديس وذلك حين رأيت انه يستطيع ان يتخلص بسهولة من مراقبة رجال الشرطة فخطر لى ان اطلق فى اثره مجرما من طرازه فقد يكون أوسع حيلة من رجالنا .

فقال المدير فى مرارة :

ـ وكانت النتيجة انه انضم الى القديس ! كان مسدسه

فى يده وهو يهم بأن يضع فيه خزان الرصاص . ولكنى فاجأته من الخلف وضربته على رأسه بمقبض مسدسى فدارت رأسه وفقد وفقد الوعى ولكنه كان قد تمكن من أن يرسل صرخة الانذار .. فحين خرجت من الغرفة مسرعا وصعدت السلم لمحت جيل تريلوتى تتوارى فيها وقبل أن أبلغ الباب كان قد أوصد من الداخل .. ولما أردت أن أدفعه بكتفى انطلق الرصاص وثقب الباب وكاد يصيبنى لولا أنى ابتعدت مسرعا . ولبثت هنا فى انتظار قدومك تلبية للبرقية التى سبق أن أرسلتها اليك .

ــ وأين انطونيو موريتو الآن

ــ لقد تركته فى الطابق الارضى حيث أغمى عليه .. ولقد كانت الضربة شديدة جدا فلا أدرى اذا كان قد أفاق وهرب أم لا يزال فى غيبوبته . فانزل أولا وتأكد مما اذا كان موجوداً ثم عد الى

وترك مستر كوليس رئيسه وهبط الى الطابق الارضى فوجد موريتو فى الغرفة وهو جالس على الارض مسنداً رأسه بين يديه فصاح به :

ــ موريتو ! ماذا فعلت أيها القذر ؟ كيف خنتنى ؟!

ــ ولكن ..

ــ انك تفهم ما أعنى .. أتذكر مقابلتنا الاخيرة ؟ ألم آمرك بأن تبحث عن جيل تريلوتى وتقتلها ؟

ــ هذا صحيح ياسيدى .

ــ ووعدتك بثلاثة آلاف فرنك وأن أمكنك من الفرار من

انجلترا .. فكيف جرؤت على خيانتى أيها الكلب الحقير .. !

ــ ولكن أرجوك ياسيدى أن ...

ــ أصمت أيها الخائن .. ! ان للخيانة عندى جزاءا واحدا .. ! سأفرغ مسدسى فى صدرك واذا سئلت ذكرت أنى حين دخلت عليك حاولت أن تطلق على النار من مسدسك فكان لابد لى من أن أدافع عن نفسى .. ! فاستعد للموت أيها الكلب الحقير .

وقبل أن يتحرك اصبعه على الزناد سمع طلقا ناريا صادرا من الطابق الاول وسمع صوت المدير يقول :

ــ كوليس ؟ اصعد حالا .. ؟

فادرك كوليس أن الفرصة أفلتته فقال مخاطبا الايطالى :

ــ ساعود اليك ..

وضربه على رأسه بمقبض مسدسه فأغمى عليه . ووجد رئيسه عند الباب ويده على صدره وقميصه ملوث بالدماء .

ــ لقد سمعتهما يتكلمان فاقتربت من الباب وأنصت ولكن الرصاصة انطلقت على من الداخل فأصابتنى . وقد أجبتهما بالمثل ويخيل الى أننى أصبت الهدف بدورى .

وفتح باب الغرفة فى هذه اللحظة وظهر على عتبته القديس قائلا :

ــ انى أسلم نفسى .. لقد أصابت رصاصتك جيل ..

يجب استدعاء طبيب على الفور .

فقال المدير مخاطبا وكيله :

ــ تول أنت الحراسة ياكوليس اما أنا فسأذهب الى اقرب بيت الينـــا لأعهد الى اصحابه باســـتدعاء أحد الاطبـــاء .

ــ ولكنك جريح ياسيدى والمشى يتعبك ٠٠ ؟

ــ ان اصابتى بسيطة ٠٠ وأنت أقدر منى على أى حال على حراسة الاسرى .

وأمر كوليس القديس بأن يحمل جيل ويهبط بها الى الطابق الارضى الى الغرفة التى فيها أنطونيو موريتو .

وغادر المدير العام البيت على حين وقف مستر كوليس شاهرا مسدسه على أسراه الثلاثة .

وتكلم مستر كوليس قائلا :

ــ لقد وقعت بين ايدينا ياتمبلار ولا نجاة لك !

ــ وأنت أيضا لا نجاة لك ؟

ــ حقا ٠٠ ؟ وكيف كان ذلك ؟

ــ انك فاجأت جيل حين اكتشفت مخبأك السرى .. فهل خطر لك ان تستوثق من أن أوراقك سليمة لم تمســها يد .. ؟

ــ لم اجشم نفسى هذه المشقة لان الموقف لم يتسع لجيل لكي تمد اليها يدا .

فضحك القديس وقال : اما انا فمددت اليها يدا ٠٠ فى الليلة السابقة ٠٠ ؟

ــ حقا .. ! وماذا أخذت ؟

ــ ورقة مالية من فئة العشرة الجنيهات .

ــ وما اهميتها ٠ ؟

ــ رقمها يهمنى ٠٠ انى أستطيع أن أثبت أن مصدر هذه الورقة انما يرجع الى ولدستين مهرب المخدرات الشهير ٠٠ ؟

فضحك مستر كوليس ساخرا وقال :

ــ اما انا فأستطيع أن أدافع عن نفسى بأنى لا أعرف شيئا من هذه الورقة المالية ٠٠ ! ولا عن بقية الرزمة الموجودة فى مكتبى ! ٠٠ سأقول انها دست .

ــ وهل ينفعك هذا الدفاع .. ؟ أنسيت انه لم ينقذ سير تربلونى من قبل كلا يا عزيزى كوليس .. يجب ان تعترف بأنك وقعت ولا سبيل لك الى النجاة .. !

الفصل السادس والعشرون

ساد الغرفة صمت طويل قطعه مستر كوليس بقوله:

ــ ان هذا الدليل الذي تنوي أن تتقدم به تافه لا وزن له ؟

ــ والادلة الاخرى؟

ــ ما هي هذه الادلة ؟

ــ انطونيو موريتو مثلا ؟ ان لديه قصة طريفة !

ــ قصة مكذوبة ملفقة ! ايصدق أحد مثل هذه التهمة من مثل هذا المجرم وهي تمس وكيل ادارة الامن العام! كلا ياعزيزي تمبلار ، يجب أن تلتمس أدلة أخرى يمكن أن تنهض على ساقيها .

ــ انها حاضرة .

ــ حدثني بها اذن .

ــ فيما بعد .

فضحك مستر كوليس ساخرا وقال :

ــ وهل تظن ياتمبلار انك ستنتفع بمعلوماتك هذه ؟ اتدري ما الذي سيصيبك

ــ كلا .

ــ سأفرغ مسدسي في صدرك أنت وحيل فاذا سئلت قلت انك فاجأتني فاضطررت أن أدافع عن نفسي .. وبذلك أتخلص منك وارسلك الى القبر وسرك في صدرك .

ــ بنفس الطريقة التي أردت أن تستعملها مع موريتو .

فقال مستر كوليس في دهش :

ــ وكيف سمعتني وأنا احدثه ؟ من أنبأك بذلك ؟

ــ أحد العرافين .

ــ ومع ذلك فهي وسيلة ناجحة .

وتصلبت عضلات وجهه . وبدأ أصبعه يتحرك على الزناد ولكن القديس قال له :

ــ كلا .. انها ليست وسيلة ناجحة .. لان للقصة بقية يحسن بك أن تسمعها قبل أن تطلق على النار .

ــ وما هي هذه البقية ياترى؟ امامك ثلاث دقائق قبل أن اطلق عليك النار .. فتكلم .

فقال تمبلار في صوت هادىء :

ــ ان عندي كما ترى ادلة غير قليلة .. أوراق البنكنوت وانطونيو موريتو .. ولكنك تهزأ بهذا كله ولكن ما قولك اذا كان بين أدلتي شاهد محترم سمع اعترافاتك كلها .

ــ حقا ، ومن هو هذا الشاهد المحترم ياترى .

ــ المدير العام لادارة الامن .

فضاقت عينا مستر كوليس وضحك ضحكة جوفاء .

واسترسل سيمون تمبلار قائلا :

— لقد أفضيت للمدير العام بهذه الحكاية فاتفقنا معا على تمثيل رواية صغيرة واتخذنا هذا البيت مسرحا لها .. لقد حضرنا الى هذا البيت ظهر اليوم انا والمدير العام وقمنا باخراج الرواية التمثيلية واعداد مناظرها ، ثقوب الرصاص التى تراها فى الباب فى الطابق الاعلى صنعت عمدا سياج النافذة لم ابرده وانما برده عامل اتينا به خصيصا ظهرا ·· اما محاورات الرواية فانا مؤلفها .. فانا كما ترى المؤلف والمخرج والممثل ايضا . وخلف هذه الصورة المعلقة على الجدار جهاز ميكرفون ينقل كل كلمة تدور فى هذه الغرفة الى شرطى اقيم خصيصا فى مخفر البوليس ليسمع ويدون كل كلمة يحملها اليه الميكروفون . فحديثك الذى دار بينك وبين موريبو او بينك وبينى مسجل الان حرفيا فى محاضر البوليس ·· كما اننا ثبتنا بالميكروفون سماعة اضافية استطاع المدير بواسطتها أن يسمع كل كلمة وهو فى الطابق الثانى على راس السلم ·· وكذلك سمعتك انا ولهذا عرفت انك هددت موريبو بالقتل جزاء خيانته لك ولم استشر عرافا طبعا كما زعمت لك ·· اما جيل تريلونى فلم تصب باى جرح ·· وكذلك المدير العام ·· والدماء التى رايتها على الثياب ليست الا حبرا احمر ·· اليس كذلك ياجيل ؟ هيا ارفعى يدك عن الجرح المزعوم ·· اما المدير فلم يذهب ليستدعى طبيبا كما قال وانما دخل البيت من باب خلفى ووقف عند سماعة الميكروفون يسمع كل كلمة

تجرى بيننا ·· ومن هذا ترى ياعزيزى كوليس ان لا سبيل لك الى الفرار ·· فاذا كانت الادلة التى سقتها اليك ضعيفة لا وزن لها فان شهادة المدير العام لادارة الامن العام ستكون هى القاضية عليك ·

وارتفع من خلف كوليس صوت يقول :

— لقد سمعت كل شىء ياكوليس ·· !

واستدار كوليس ليرى المدير واقفا على عتبة الغرفة وهو شاهر مسدسه ·· وفى نفس اللحظة اخرج القديس مسدسا من جيبه وصوبه الى كوليس ·

وضحك كوليس ضحكة شيطانية وقال :

— نعم ·· انى اعترف بكل شىء ·· ان سير تريلونى الوكيل السابق لادارة الامن العام كان بريئا ·· كانت التهمة ملفقة ضده .. كان تريلونى حربا على عصابة ولدستين واللوره اسندين ·· ولقد عرف انهما من اكبر تجار المخدرات وكنت انا شريكا لهما ·· فاتفقنا على الايقاع به ودبرنا له هذه المكيدة ·· انا الذى كتبت الى العصابة محذرا من مهاجمة البوليس لها واستعملت الالة الكاتبة الموجودة فى مكتب تريلونى .. انا الذى اتصلت به تليفونيا وقلدت صوت المدير العام وامرته بالسفر بالطيارة الى باريس للقبض على ولدستين فلما فاجأناه هناك كان التفسير الوحيد المعقول فى مثل هذه الظروف

انه انما جاء الى باريس لينذر ولصستين بالقـرار ..
واخيرا أنا الذى دسست الأوراق المالية فى خزانته !
نعم .. كان تريلونى بريئا .. ! ولكن كان لابد من ازاحته من الطريق .

فهز المدير العام رأسه وقال :

ـ مما يؤسف له أن ينحدر موظف كبير الى مثل هذا الدرك والمفروض فيه أن يكون حاميا للقانون لا خارجا عليه .

فابتسم مستر كوليس فى مرارة وقال :

هكذا شاءت الاقدار .

وقبل أن ينتبه أحد لما حدث كان قد رفع مسدسه واطلق النار على رأسه فخر صريعا ! .

خاتمة

بعد ثلاثة أيام كانت جيل تريلونى واقفة على ظهر السفينة المقلعة الى نيويورك ..

وكان القديس واقفا على رصيف الميناء .

وتحركت يد فى السفينة ولوحت بمنديل أبيض .

وتحركت يد أخرى على الرصيف . ولوحت بمنديل أبيض أيضا .

وحين أقلعت الباخرة واخذت تبتعد عن الشاطىء بكت الفتاة التى على ظهرها .

ولكن الرجل الذى على الرصيف لم يذرف دمعة واحدة .

وانما التفت الى المفتش تيل الذي كان واقفا الى جواره وضحك ..

كانت ضحكة طويلة هادئة .. لم تكن فيها مرارة .
ولم يكن فيها انفعال .

ثم قال فى صوت لا ينم عن شىء :

ـ فى القصص ياعزيزى كلود لابد أن تحب البطلة البطل .. أما فى الحياة فقد يختلف الامر عن هذا .. ؟ قد يحب البطل البطلة .. أما البطلة فقد تحب رجلا آخر .. رجلا ينتظر عودتها فى نيويورك .. ؟

فتفرس فيه تيل برهة ثم قال :

ـ ماذا بك ياتسيلار ..؟

ـ لا شيء .. لا شيء .. كل ما هنالك انى احب ان اتفلسف فى بعض الاحيان .. ؟

وضحك .. ولكنها فى هذه المرة كانت ضحكة فيها مرارة .. وفيها انفعال ؟

وحين تباعدت به السيارة تطوى الطريق ـ كانت لا تزال تتردد فى أذن المفتش تيل الضحكة التى أطلقها القسيس .. تلك الضحكة النابضة بالاسى والمرارة .

تمت

رقم الايداع بدار الكتب
٦٦٤٧ / ١٩٧٠

مطابع الاهرام التجارية

الرواية القادمة

جواهر التاج

مثيرة . حافلة بالمفاجآت

للكاتب الانجليزى

ليسلى تشارتريس

ترجمة

عمر عبد العزيز امين